

الزهوراء

سيدة نساء العالمين

كتابها العظيم في بيان فضائلها
وآثارها الجليلة

تأليف: الشيخ محمد باقر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الزهرا عليها السلام سيده نساء العالمين

كاتب:

آيت الله العظمى ناصر مكارم شيرازى (دام ظلّه)

نشرت فى الطباعة:

مدرسه الامام على بن ابي طالب (ع)

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	الزهره عليها السلام سيده نساء العالمين
٨	اشاره
٨	المقدمه
٩	فاطمه عليها السلام منذ الولادة حتى رحيل النبي صلى الله عليه وآله
٩	الولادة الميمونه لفاطمه عليها السلام
١٠	سر حب النبي صلى الله عليه وآله لفاطمه عليها السلام
١١	فاطمه أم ابنيها
١٢	فاطمه عليها السلام زوجة أمير المؤمنين على عليه السلام
١٤	فاطمه عليها السلام بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله
١٥	فضائل الزهراء عليها السلام
١٥	اشاره
١٥	منزلة فاطمه عليها السلام
١٧	سيده نساء العالمين
١٨	حوراء انسيه
١٩	فاطمه عليه السلام أحب الناس الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله
٢٠	قرب فاطمه عليها السلام من الله
٢٠	زهد فاطمه عليها السلام
٢٢	المكانه العلميه لفاطمه عليها السلام
٢٢	كرامات فاطمه عليها السلام
٢٣	أول من يرد الجنة
٢٤	معاني أسماء فاطمه عليها السلام
٢٤	هدية الرسول صلى الله عليه وآله لفاطمه عليها السلام

- ٢٤ اشارة
- ٢٥ أحداث فدك المؤلمة
- ٢٥ اشارة
- ٢٦ ١- العوامل السياسية في غضب فدك
- ٢٧ ٢- فدك عبر العصور
- ٢٨ ٣- فدك و أئمة الهدى عليهم السلام
- ٢٩ ٤- محكمة تاريخية
- ٣٠ ٥- حدود فدك!
- ٣١ استنتاج
- ٣١ الملحمة الكبيرة
- ٣١ الخطبة التاريخية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام
- ٣٢ أسانيد و وثائق الخطبة
- ٣٣ المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام
- ٣٣ توحيد الله و صفاته و هدف التكوين
- ٣٤ منزلة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله السامية، خصائصه و أهدافه
- ٣٥ كتاب الله و فلسفة الأحكام
- ٣٦ إعلان موقفها من النظام الحاكم
- ٣٨ الردة بعد النبي صلى الله عليه و آله
- ٣٩ المحور السادس قصة غضب فدك و حجج الغاصبين وتفنيدها
- ٤٠ طلب نصره الأنصار
- ٤٢ الخطبة الثانية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام
- ٤٢ الخطبة المؤلمة في نساء المدينة
- ٤٣ مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء عليها السلام
- ٤٤ القسم الأول

- ٤٤ القسم الثاني
- ٤٤ اشارة
- ٤٥ المعايير و القيم الإلهية
- ٤٦ القسم الثالث
- ٤٦ اشارة
- ٤٦ ترجيح «المرجوح» على «الراجح»
- ٤٧ القسم الرابع
- ٤٧ اشارة
- ٤٧ الاختيار الخاطيء و ثمرته المشؤومة
- ٤٨ القسم الخامس
- ٤٨ اشارة
- ٤٨ الأجوبة المريرة و المؤلمة
- ٤٩ ملاحظة مهمة
- ٤٩ تعريف المركز القائمة باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الزهراء عليها السلام سيده نساء العالمين

إشارة

سرشناسه: مكارم شيرازى ناصر، - ١٣٠٥ عنوان و نام پديدآور: الزهراء عليها السلام سيده نساء العالمين ناصر مكارم شيرازى تعريب عبدالرحيم محمدانى مشخصات نشر: قم مدرسه الامام على ابن ابى طالب ١٣٨٢. مشخصات ظاهري: ص ١٧٦ وضعت فهرست نويسى: فهرست نويسى قبل يادداشت: عربى يادداشت: عنوان اصلى زهرا سلام الله عليها برترين بانوى جهان يادداشت: عنوان روى جلد: Makarem shirazi. Al - Zahra The most superior lady of the world. يادداشت: كتابنامه به صورت زيرونويس عنوان روى جلد: Makarem shirazi. Al - Zahra The most superior lady of the world. موضوع: فاطمه زهرا(س)، ٨؛ قبل از هجرت -- ق ١١ شناسه افزوده: حمرانى عبدالرحيم مترجم شناسه افزوده: مدرسه الامام على بن ابى طالب ع رده بندى كنگره: BP27/2/م ٩٠٤٣ز ١٣٨٢ رده بندى ديويى: ٢٩٧/٩٧٣ شماره كتابشناسى ملي: م ٨٢-١٧٥٠٨

المقدمة

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «كانت مريم سيده نساء زمانها، أما ابنتى فاطمة فهي سيده نساء العالمين من الاولين الاخرين».*** شهدت المرأة معاناة قاسية جمه على مدى التاريخ، وكانت رقيقه في جسدها مقارنة بالرجل، فقد أثر هذا الامر سلباً على الظلمة والطواغيت الذين سعوا جاهدين على مر العصور لهضم حقها وتجريدها من إنسانيتها، وما اشبع من جرائم إرتكبوها بهذا الشأن، ولا سيما في شبه الجزيرة العربية وابان العصر الجاهلى - رغم أن الدنيا برمتها كانت آنذاك تسبح في بحر من الجاهلية - حيث كانوا أشد وطأة على المرأة وأعظم لثلمها شخصيتها. حتى بلغ بهم الأمر أن جعلوها سلعة تباع و تشتري؛ لم يورثوها الرجال (فهي لا- تحمل السلاح وتحمل البيضة)، كما كانوا يعدون ولادة البنت عاراً، ولذلك - كما يشير القرآن - كانوا يعمدون لوأدها - بل الادهى من ذلك أنهم ولو اظهروهم حتى لا بسط القوانين الطبيعية: فصار شاعرهم يقول: بنونا بنو آبائنا و بناتنا بنوهن أبناء الرجال الأبعاد وهذا ما يمثل الجو الفكرى الذى كان سائدا لديهم آنذاك. وهنا كان للاسلام الذى حمل رايه القيم الالهية والانسانية موقفه الحازم ازاء هذا التفكير الجاهلى المقيت لتثور ثائرتة من أجل إستعادة المرأة لشخصيتها المفقودة؛ فاعتمد أسلوب الوعظ والتوصيه والارشاد إلى جانب تشريع القوانين التى تكفل للمرأة حقوقها فسمح المجال أمامها لتمارس دورها في كافة الميادين، وبالتالي الوقوف بحزم بوجه كل من تسول له نفسه التمرد على هذه الحقائق. فقد ورد في الاخبار: أن أسماء بنت عميس زوج جعفر بن أبى طالب عادت معه من الحبشة وانطلقت لزيارة أزواج النبي صلى الله عليه وآله فكان مما سألت: هل جاء شىء من القرآن بحق النساء؟ فأجبن بعدم العلم بهذا الأمر! فقصدت رسول الله صلى الله عليه وآله وقالت: يا رسول الله، هل خلقت النساء للعذاب؟ (لعلها كانت مصيبة في طرحها مثل هذا السؤال على النبي صلى الله عليه وآله فهي حديثه العهد بالوحى والرسالة، وربما كانت تظن بان المبادئ التى كانت تحكم المجتمع الجاهلى مازالت عالقة لحد الان). فاجابها رسول الله صلى الله عليه وآله: ومم ذاك؟ قالت: لأن القرآن لم يقر لها بالفضل الذى أقره للرجال! كانت تلك الواقعة في العام الهجرى الخامس وقد مرت ثمانية عشر عاماً على انبثاق الدعوة الاسلامية، كما إستفاضت الايات القرآنية وتواترت الاحاديث النبوية التى تناولت قضية إحياء شخصية المرأة، مع ذلك و بهدف التأكيد فقد صرحت الاية الخامسة والثلاثون من سورة الاحزاب بهذا الفضل للنساء وحقيقة تأصل قيمها الانسانية التى تجعلها تشترك وأخيها الرجل في وحدة هذه الحقيقة وأنها تتمتع. بمكانتها الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧ الاجتماعية المرموقة. وهى القيم التى حصرتها الاية الشريفة في عشرة فصول، فقالت: إن المسلمين والمسلمات. والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات والصادقين والصادقات والصابرين والصابرات والخاشعين والخاشعات والمتصدقين والمتصدقات والصائمين والصائمات والحافظين فروجهم والحافظات والذاكرين الله كثيرا

والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وهكذا يكون الاسلام قد وضع النقاط على الحروف، وكشف النقاب عن تكافىء المرأة والرجل في سيرهما إلى الله وبلوغ السمو والكمال الانساني المشهود. جدير بالذكر ان البعض قد أعرب عن دهشته من كيفية منح الاسلام المرأة حق المطالبة باجور الرضاعة التي تقدمها لولدها! فقد قال عز من قائل: «ي فان أرضعن لكم فاتوهن أجورهنى «١». فهل هناك من امرأة يسعها المطالبة بالاجر من أجل ارضاع فلذة كبدها ولاسيما إذا كانت تعيش مع زوجها حياة زوجية مشتركة؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨ لكن لا ينبغي أن ننسى هنا بان هذه التعاليم انما تستند إلى منطق الاسلام الذي لا يرى ان المرأة هي إنسان ذات حقوق إنسانية، لها الحق في التصرف في أموالها وليس للرجل الحق في هضمها حقها دون رضاها وطيب خاطرها فحسب، بل أبعد من ذلك فهي تملك حتى حق المطالبة بالرضاعة. ولك- عزيزى القارئ- أن تقف على مدى تأثير هذا الأمر على تلك البيئة! وزبدة الكلام أن المرأة مدينة بالفضل للاسلام الذي أعاد لها عزتها وكرامتها وحررها من مخالب عتاة التأريخ ومردته، شريطة أن تطبق تعاليم هذا الدين الحنيف بحذافيرها.

فاطمة عليها السلام منذ الولادة حتى رحيل النبي صلى الله عليه وآله

الولادة الميمونة لفاطمة عليها السلام

«فاطمة بضعة منى وهى نور عينى وثمره فؤادى وروحى التى بين جنبي وهى الحوراء الانسية» «١» كان رسول الله صلى الله عليه وآله يعيش أصعب الظروف وأعقدها فى العام الخامس من بعثته النبوية الشريفة، فالاسلام فى عزلة خانقة والمسلمون الاوائل قلائل وتصاعد حدة الضغوط، ناهيك عن أجواء الظلام التى كانت القت بظلالها على مكة اثر الشرك والوثنية والجهل والحروب القبيلة العربية وسيادة منطق القوة واستشراء الفقر والحرمان فى صفوف الناس. كان رسول الله صلى الله عليه وآله يتطلع إلى الغد؛ الغد المشرق الكامن وراء هذه السحب السوداء الداكنة، الغد الذى يبدو صعب المنال وربما المحال بالالتفات إلى الاسباب والعلل الظاهرية الاعتيادية. وهنا وقعت حادثة المعراج الكبرى التى أذن الله فيها لرسوله الاكرم صلى الله عليه وآله بالعروج لمشاهدة ملكوت السماء لزيه من آياتناى «٢» فىرى عظم آيات ربه بعينه لتسامى روحه العظيمة، ويتأهب لتلقى ثقل الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢ الرسالة المصحوبة بسعة الأمل. فقد روى الفريقان- السنة والشيعة- أن رسول الله صلى الله عليه وآله وطأ الجنة ليلة المعراج، فناوله جبرئيل عليه السلام فاكهة من شجرة طوبى، فلما عاد إلى الارض انعقدت نطفة فاطمة من تلك الفاكهة. ولذلك جاء فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ان فاطمة حوراء أنسية، فكلما إشتقت إلى الجنة جعلت أقبها» «١» وبذلك فإن هذه المولودة المباركة التى تمثل عصارة ثمار الجنة ولحم ودم رسول الله صلى الله عليه وآله وتلك الام الحنون السيدة خديجة الكبرى عليها السلام تكون قد وضعت حدا لطعنهم وغزهم فى النبي صلى الله عليه وآله كونه أبترا لا عقب له. وعلى ضوء سورة «الكوثر» المباركة فان فاطمة عليه السلام هى العين الصافية التى تدفقت منها ذرية النبي صلى الله عليه وآله والائمة الهداة الميامين عبر القرون حتى يوم القيامة. للحوراء الانسية تسعة أسماء يرمز كل منها لصفات ومناقب هذه السيدة الطاهرة المباركة، وهى: ١- فاطمة ٢- الصديقة ٣- الطاهرة ٤- المباركة ٥- الزكية الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣ ٦- الراضية ٧- المرضية ٨- المحدثة ٩- الزهراء وكفى باسمها «فاطمة» الذين يعنى البشارة الكبرى لمواليها ومحبيها، فلفظ «فاطمة» قد أخذ من مادة «فطم» بمعنى الانفصال، ومنه فطام الولد بمعنى فصله عن الرضاعة. فقد ورد فى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لأعير المؤمنين على عليه السلام: أتعلم يا على لم سميت ابنتى فاطمة؟ قال عليه السلام: لم يا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ فقال عليه السلام: «ان الله عزوجل فطمها ومحبيها من النار فلذلك سميت فاطمة» «١» ويتألق إسم الزهراء من بين أسمائها. وحين سئل الصادق عليه السلام: لم سميت فاطمة عليه السلام بالزهراء؟ قال عليه السلام: لأن الزهراء كانت زاهرة كالنور، فإذا وقفت فى محرابها للصلوة كانت تزهر لأهل

السموات كما تزهر النجوم لأهل الارض، ولهذا سميت بالزهراء. كان زواج تلك السيدة- التي كانت تحظى بشخصية مرموقة في مجتمعها- من النبي الاكرم صلى الله عليه و آله سببا لمقاطعتها من قبل نساء مكة، اللاتي قلن: إنها تزوجت من فتى فقير ويقيم فحطت من قدرها وشأنها. وقد إستمرت هذه المقاطعة حتى حملت بالزهراء عليه السلام. فلما قاربت وضع حملها بعثت خلف نساء قريش ليرافقنها في لحظات الطلق والمخاض العصيبة ولا يتركنها لوحدها. فجوبهت برد باهت قاسى: «انك لم تسمعى مقالتنا فتزوجت من يتيم أبى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤ طالب، فليس لنا أن نساعدك! اغتمت خديجة عليها السلام لهذا الرد الباطل؛ لكن قلبها كان يطفح بنور الأمل الذى يشعرها بأن ربها لن يتركها وحيدة. وبدأت لحظات الوضع الصعبة؛ مع غربتها ووحدها فى البيت، ولم تكن هناك خادماتها التى يمكنها الوقوف إلى جوارها أملاً فتفتح عينها لترى أربعاً من النساء فينتابها القلق. فنادتها إحداهن قائلة: لا تبتسئى! فقد بعثنا ربك لنجدتك، نحن أخواتك، فأنا سارة وهذه آسية زوجة فرعون وهى رفيقتك فى الجنة؛ وتلك مريم بنت عمران، أما هذه فهى كلثوم ابنة موسى بن عمران وقد جئنا لنلبى أمرك. فمكثن عندها حتى وضعت فاطمة سيده النساء. (١)» ولم يكن ذلك بدعا فقد قال الحق سبحانه: «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليه الملائكة ألاً تخافوا ولا تحزنواى (٢)» إضافة إلى الملائكة فقد حضرتها أرواح نساء العالم لنجدتها ومعونتها. فسُرُّ رسول الله صلى الله عليه و آله وحمد الله وأثنى عليه، وخرست ألسن خصومه ممن نعتوه بالابتر، حيث بشره سبحانه بهذه المولودة المباركة «انا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر إن شائتك هو الابترى.

سر حب النبي صلى الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام

«إذا اشتقت إلى الجنة قُبِلْتُ نَحَرَ فاطمة». (١) كتب كل المؤرخين وأرباب الحديث أن للرسول صلى الله عليه و آله علاقةً عجيبةً بابنته فاطمة عليها السلام بديهى أن علاقة النبي الكريم صلى الله عليه و آله بفاطمة عليها السلام لم تكن علاقة الوالد بولده، رغم أن هذه العاطفة مكونة فى وجود الرسول صلى الله عليه و آله، إلا أن حديثه وعبارته عن تلك العلاقة تشير إلى وجود معايير أخرى. ونكتفى هنا بالإشارة إلى بعض الروايات التى صرحت بها مصادر الفريقين. ١- «ما كان أحد من الرجال أحب إلى رسول الله من على ولا من النساء أحب إليه من فاطمة». (٢) الطريف أن جمعاً كبيراً من أرباب الحديث قد روى هذا الحديث نقلاً عن عائشة. ٢- عند ما نزلت الآية الشريفة: «لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضاً». (٣) لم يخاطب المسلمون الرسول صلى الله عليه و آله باسمه، بل أخذوا ينادونه يا رسول الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦ الله أو يا أيها النبى - تقول فاطمة عليها السلام لما نزلت الآية الشريفة هبت رسول الله أن أقول له يا أبه. فكنت أقول: يا رسول الله، فأعرض عنى مرةً واثنتين أو ثلاثاً، ثم أقبل على فقال: يا فاطمة إنها لم تنزل فيك ولا فى أهلِكَ ولا فى نسلِكَ، أنت منى و أنا منك، إنما نزلت فى أهل الجفاء والغلظة من قريش، أصحاب البذخ والكبر ثم أضاف هذه العبارة الروحية العجيبة قولى يا أبه فإنها أحيى للقلب وأرضى للرب» (١). لقد كان لصوت فاطمة عليها السلام الحنون وهى تردد «يا أبتاه» وقعاً مؤثراً فى نفس الرسول صلى الله عليه و آله كوقع أمواج النسيم على البراعم المتفتحة. ٣- جاء فى حديث آخر «كان رسول الله صلى الله عليه و آله إذا سافر كانت آخر الناس عهداً به فاطمة وإذا رجع من سفره كانت عليها أفضل الصلاة أول الناس عهداً به». (٢) ٤- نقل كثير من محدثى الشيعة والسنة حديثاً للرسول صلى الله عليه و آله قال فيه: «من آذاها فقد آذانى ومن أغضبها فقد أغضبنى من سرها فقد سرنى ومن سائها فقد سائنى» لا شك أن حرمة الزهراء صلى الله عليه و آله ورفعتها انما تعود لسمو شخصيتها وسمو مكانتها واخلاصها وعلو ايمانها وعبوديتها، ولا غرو فهى أم الائمة و زوج أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام. لكن الرسول صلى الله عليه و آله أراد أن يفهم المسلمون حقيقة أخرى ويفصح عن رأى الاسلام بشأن أمر آخر فيخلق ثورة فكرية و ثقافية فى ذلك الوسط فيقول: الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٧ البنت ليست كائنا يجب أن تؤاد. أنظروا ... أنى أقبل يد ابنتى، واجلسها مكانى، وأكن لها عظيم احترامى وتقديرى. البنت إنسان كسائر الناس، نعمة من نعم الخالق، وموهبة

إلهية. وأنها كأخيها الرجل في سيرها نحو الكمال والقرب الالهي، وهكذا أعاد رسول الله صلى الله عليه وآله للمرأة شخصيتها التي تصدعت في ذلك الوسط المظلم. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٨

فاطمة أم ابينا

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن أول شخص يدخل على الجنة فاطمة بنت محمد» (١) كان المسلمون يعيشون مرحلة الاعداد في مكة، في ظل ظروف قاسية للغاية. كانت بداية انبثاق الدعوة الاسلامية، والفئة الاسلامية قليلة، بينما كانت العدة والعدد والسطوة والثروة بيد خصوم الدعوة الجفاء، وكان لهم أن يفعلوا ما شاءوا بالمسلمين. فلم يتورعوا عن أذى المسلمين، كما لم يكفوا عن الاساءة إلى النبي صلى الله عليه وآله والطعن في شخصه. وقد شهد ذلك العصر بروز شخصيتين على مستوى التضحية والفداء: فكانت «خديجة» من بين النساء؛ التي كانت سكن رسول الله صلى الله عليه وآله وتواسيه بحبها وحنانها فتزِيل عن قلبه الهم والغم. أما من بين الرجال فكان (ابوطالب) والد امير المؤمنين على عليه السلام والذي كان يتمتع بمكانة مرموقة في المجتمع المكي، إلى جانب حكمته وحنكته العالية. فكان يقى رسول الله صلى الله عليه وآله ولا يتوانى في الدفاع عنه، كان درعه وعونه إزاء خصوم الدعوة. وللأسف فقد توفي هذان العظيمان في السنة العاشرة للهجرة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٩ فحزن رسول الله صلى الله عليه وآله حزناً شديداً وبقي وحده في الساحة. وقد بانته شدة حزنه بهذين الفردين -والذين كان لكل منهما دوره في إنتشار الاسلام- حين سمي ذلك العام ب «عام الأحزان». ولكن لا يسلب الله المصطفين من عباده نعمه الافاض عليهم مثلها، فقد خلف كل منهما ولدا يواصل نهجهما. فكان على بن أبي طالب عليه السلام كأبيه يقى رسول الله صلى الله عليه وآله بنفسه، كان كذلك من انبثاق الدعوة، وهكذا سد الفراغ الذي تركه أباه بعد رحيله. بينما خلفت خديجة (فاطمة) فكانت البنت الحنونة الشجاعة والمضحية التي وقفت إلى جانب أبيها تشد أزره وتشاركه همه وغمه. كان أمير المؤمنين عليه السلام في التاسعة عشرة من عمره، بينما لم تكن فاطمة -على ضوء الروايات الصحيحة- قد تجاوزت الخامسة من عمرها. الجدير بالذكر انهما عاشا معاً في بيت رسول الله صلى الله عليه وآله يؤنسانه ويخففان عنه ألم الوحدة. فقد كانت السنوات الثلاث الاخيرة التي سبقت الهجرة مملوءة بالاذى والمرارة والمعاناة بسبب الجهود المضنية التي كان يبذلها أعداء الدعوة من أجل القضاء على الاسلام والمسلمين. لقد نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله من الاذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب حتى إعترضه سفيه من سفهاء قريش فنشر على رأسه التراب، فدخل رسول الله صلى الله عليه وآله و آله بيته والتراب على رأسه، فقامت إليه فاطمة عليها السلام فجعلت تمسح التراب عن رأسه وهي تبكي ورسول الله صلى الله عليه وآله يقول لها: لا تبكي يا بنية، فان الله مانع أباك. (١) وروى ابن عباس: أن قريشاً اجتمعوا في الحجر فتعاهدوا باللآت والعزى ومناه لو رأينا محمداً لقمنا مقام رجل واحدٍ ولنقتلن، فدخلت الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٠ فاطمة عليها السلام على النبي صلى الله عليه وآله باكيةً وحكت له مقالهم، فقال: يا بنية أدنى وضوئى فتوضاً وخرج إلى المسجد، فلما رأوه قالوا: هاهو ذا وخفضت رؤوسهم، وسقطت أذقانهم في صدورهم فلم يصل رجل منهم، فأخذ النبي صلى الله عليه وآله قبضة من التراب فحصبهم بها وقال: شامت الوجوه، فما أصاب رجلاً منهم إلقتل يوم بدر. (١) وهذا يدل على أن فاطمة عليها السلام لم تكن تخدم والدها في البيت فحسب، بل وتفكر بكيفية الدفاع عنه ونجاته في خارج البيت. حيث روى أنها كانت الوحيدة في الدفاع عنه عليها السلام عندما رمى عليه أبو جهل روث البقر، وهو صلى الله عليه وآله يصلى وأصحابه عند الكعبة. فلم يجرؤ أحد على التدخل، لكنها خرجت وأسمعت أبا جهل ما روعه عن الاستمرار في السخرية من النبي صلى الله عليه وآله. نعم ... حتى عند افتقار الجراء في الشجعان من الرجال في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله، نرى هذه البنت الشجاعة الصغيرة تسارع في الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله. بعد أن انقضت فصول معركة أحد و غادر جيش العدو ساحة الوغى كان الرسول صلى الله عليه وآله لا يزال في ميدان أحدٍ وقد كسرت رباعيته و شج جبينه، وبينما هو كذلك إذا أقبلت فاطمة عليها السلام وهي صغيرة السن من المدينة إلى أحدٍ سيراً على الأقدام، لتقوم

بغسل وجهه المبارك وإزالة الدم عن محياه الشريفة، لكن الجبين لم يزل ينزف. عندها قامت بحرق قطعة من الحصير، ثم وضعت رماده، على مكان الجرح فانقطع النزيف، والأعجب من ذلك أنها كانت تهىء لأبيها السلاح الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢١ في المعركة التي جرت في اليوم القادم. «١» في معركة الأحزاب التي هي من أهم الغزوات الإسلامية، وفي أحداث فتح مكة عندما انتصر جنود الإسلام على آخر متراس للمشركين و السيطرة على البيت العتيق وتخليصه من الأصنام التي كانت تلوته، نرى أيضاً فاطمة عليها السلام واقفة إلى جانب أبيها، ففي الخندق تقبل عليه بأقراص من الخبز معدودة بعد أن بقي أياماً بدون طعام، وفي الفتح المبين نراها تضرب له خيمته وتهىء له ماء ليستحم و يغسل، حتى يزيل عن جسده المبارك غبار الطريق، ويرتدى ثياباً نظيفة يخرج بها إلى المسجد الحرام. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٢

فاطمة عليها السلام زوجة أمير المؤمنين على عليه السلام

«لو لم يخلق عليٌّ لم يكن لفاطمة كفوٌّ» «١» الزواج الذي عقد في ملكوت السموات كمالات فاطمة الرفيعة من ناحية و كونها بنت رسول الله صلى الله عليه وآله من ناحية أخرى شرف نسبها من ناحية ثالثة. كان سبباً في سعي الكثير من كبار أصحاب الرسول صلى الله عليه وآله لخبطتها الا- أن الرسول صلى الله عليه وآله رفض تزويجها، وغالباً ما يكرر قوله: أمرها الى ربها! الأعجب من ذلك خطبة «عبد الرحمن بن عوف»، ذلك الرجل الثرى الذي كان ينظر الى الامور من زاوية مادية، على ضوء التقاليد و الاعراف الجاهلية، فكان يعتقد بان المهر الغالى دليل على عظم موقع المرأة و مكانتها. فعن أنس بن مالك قال: ورد عبدالرحمن بن عوف الزهري و عثمان بن عفان الى النبي صلى الله عليه وآله، فقال له عبدالرحمن يا رسول الله تزوجني فاطمة ابتك، و قد بذلت لها من الصداق مائة ناقة سوداء زرق الأعين كلها قباطى مصر، و عشرة آلاف الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٣ دينار- و لم يكن من أصحاب رسول الله أيسر من عبدالرحمن و عثمان- و قال عثمان: و أنا أبذل ذلك، و أنا أقدم من عبدالرحمن إسلاماً. فغضب النبي صلى الله عليه وآله من مقالتهما، فتناول كفاً من الحصى فحصب به عبدالرحمن و قال له: إنك تهول عليّ بمالك؟ فتحول الحصى دراً، فقومت درّة من تلك الدر فإذا هي تفي بكل ما يملكه عبدالرحمن. «١» بلى ... يجب أن تشخص و تطبق المثل الاسلاميه فى زواج فاطمة عليها السلام، و يتعرف المجتمع الإسلامى على القيم و المعايير الإسلاميه الساميه، و يسحق السنن الباليه من عهد الجاهليه. وبينما كان حديث زواج فاطمة يدور على ألسن أهل المدينة، اذ ذيع فجأة أن رسول الله صلى الله عليه وآله لن يزوجها من غير على بن أبى طالب عليه السلام. على بن أبى طالب عليه السلام الذى خلت يده من المال و من كل ثروة دنويه، و لم يكن يتحلى بأى من الميزات التى تقيم لها الجاهليه و زناً، لكنه كان يتمتع بايمان و قيم إسلاميه أصليه تملأ كيانه من مفرق رأسه إلى أحمص قدميه. و عندما تحقّق القوم علموا أنّ وحيًا سماويًا قد أمر الرسول صلى الله عليه وآله بعقد هذا الزواج التاريخى المبارك، اضافة الى أنه صلى الله عليه وآله قال: «أتانى ملك فقال يا محمد ان الله يقرئك السلام و يقول لك: إنى قد زوجت فاطمة ابتك من عليّ ابن أبى طالب فى الملاء الاعلى فزوجها منه فى الأرض». «٢» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٤ عندما دخل أمير المؤمنين على عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وآله و قد أخذ الحياء منه مأخذه، جلس بين يديه عليه السلام و لم يستطع التكلم لجلاله و هيبه صاحب الرسالة عليه السلام فقال له عليه السلام: ما جاء بك؟ ألك حاجة؟ فسكت أمير المؤمنين عليه السلام، فقال عليه السلام: لعلك جئت تخطب فاطمة؟ فقال على عليه السلام: نعم، فقال الرسول صلى الله عليه وآله: يا على! لقد سبقك آخرون خطبتها منى، و انى كلما عرضت الامر عليها لم تظهر موافقتها، دعنى أحدثها فى شأنك. صحيح أن هذا الزواج قد عُقد فى السماء و يجب أن يتم، الّا أن احترام حرية المرأة فى اختيار زوجها عموماً، و شخصيه فاطمة عليها السلام خصوصاً تحتم على الرسول صلى الله عليه وآله أن يتشاور مع فاطمة عليها السلام فى هذا الامر قبل البت فيه. بعدها ذهب النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة عليها السلام و قال لها: أن عليّ بن أبى طالب ممّن قد عرفت قرابته و فضله فى الاسلام، و انى سألت ربى أن يزوجك خير خلقه و أحبهم اليه، و قد ذكر من أمرك

شيئاً، فماترين؟ فسكتت، فخرج رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول: «الله أكبر! سكوتها اقرارها» بعدها تم عقد القران بواسطة الرسول صلى الله عليه وآله. مهر فاطمة: والابن، لنرى ما هو مهر فاطمة؟ مما لا شك فيه أن زواج أفضل رجال العالم بسيدة نساء العالم وابنة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٥ رسول الله صلى الله عليه وآله يجب أن يكون مثلاً رائعاً، مثلاً لكل العصور والازمنة، لذا توجه الرسول صلى الله عليه وآله الى أمير المؤمنين على عليه السلام بالقول: يا أبا الحسن فهل معك شيء أزوجك به؟ فقال على عليه السلام: فداك أبى وأمى والله ما يخفى عليك من أمرى شيء، أملك سيفى، درعى، وناضحى، وما أملك شيئاً غير هذا، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا على أما سيفك فلا غنى بك عنه تجاهد به فى سبيل الله وتقاتل به أعداء الله، وناضحك تنضح به على نخلك وأهلك وتحمل عليه رحلك فى سفرك، ولكنى قد زوجتك بالدرع ورضيت بها منك. «١» ونقرأ فى رواية أخرى أن الزهراء عليها السلام طلبت من أبيها عليه السلام، أن يكون مهرها الشفاعة فى المذنبين من أمة محمد صلى الله عليه وآله، فنزل جبرئيل عليه السلام على الرسول عليه السلام مخبراً بتلبية الله سبحانه وتعالى لطلب فاطمة عليه السلام. «٢» ربّما أن أعلى قيمة ذكرها التاريخ لهذا الدرع كانت خمس مائة درهم. هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى نقرأ فى الحديث أن فاطمة عليه السلام سألت النبى صلى الله عليه وآله أن يكون صداقها الشفاعة لأمته يوم القيامة، فنزل جبرئيل عليه السلام، ومعه رقعة من حرير مكتوب عليها: جعل الله مهر فاطمة الزهراء شفاعت المذنبين من أمة أبيها. «٣» نعم، وبهذا الشكل يجب أن تحطم القيم الخاطئة، لتحل محلها القيم الأصيلة، وهكذا يجب أن تكون سبل وأعراف ذوى الايمان من الرجال والنساء، وعلى هذا النهج تكون حياة القادة الحقيقيين لعباد الله «عزوجل». الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٦ جهاز فاطمة عليها السلام: المهر، الجهاز، و مراسم الزفاف هى المشاكل الكبرى الثلاث التى تواجه العوائل بشأن الزواج وهى المشاكل التى تطفى أحيانا على الحياة الزوجية فتجعل الزوجين يعيشان الامرين طيلة عمرهما. وبسبب هذه الامور الثلاثة نلاحظ أحيانا نشوء مشاجرات لفظية، وأخرى نزاعات دموية، وما أكثر ما أضيع من الاموال فى هذه المجال بسبب التظاهر والتفاخر والمنافسة الطفولية والقيحة بين العوائل. والموسف أن ترسبات الافكار الجاهلية ما زالت عالقة فى أذهان من يدعون تمسكهم بالاسلام الحنيف. ولكن يجب أن يكون جهاز سيدة الاسلام كما هو مهرها مثلاً نموذجياً للجميع. وكما أمر رسول الله فقد بيع الدرع بأربعمائة وسبعين درهماً، ثم جاء على عليه السلام بالمهر الى الرسول. قسم الرسول صلى الله عليه وآله المال الى ثلاثة أقسام، حيث قبض قبضة منه ودفعه الى بلال وقال له: ابع لفاطمة طيباً، ثم قبض بكلتا يديه مقدار من ذلك المال ودفعه الى جماعة قائلاً لهم: اشترؤا به ما يصلح فاطمة من ثياب وأثاث للبيت، ودفع مبلغاً آخراً لأىمن لتشتري به أمتعة الى البيت. من الواضح أن جهاز العرس الذى يهيا بهذا القدر من المال، لا بد أن يكون بسيطاً رخيص الثمن. وقد ذكرت كتب التاريخ أن جهاز سيدة نساء العالمين قد تكوّن من ثمانية عشر نوعاً من الحاجيات، كلّها من ذلك المال، ونذكر هنا أهمها: قطيفة سوداء خيرية الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٧ قميص بسبعة دراهم سرير مزمل بشرط أربع مرافق من ادم الطائف، حشوها أذخر «١» ستر من صوف حصير هجير رحي يدوية سقاء من ادم مخضب من نحاس قعب للبن و شن للماء جزّة خضراء... وأمثال ذلك نعم هكذا كان جهاز سيدة نساء العالمين. مراسم الزفاف: أجرى نبى الرحمة احتفالاً لهذا الزواج الذى اختاره الله سبحانه وتعالى، ولهذه العائلة التى كان لها الدور الأهم فى تاريخ الاسلام، وهى انحدر منها النسل الطيب وأئمة الهدى، خلفاء الله فى أرضه فأغضبت مراسم الاحتفال تلك أعداء المسلمين، و رفعت رأس الموالين عالياً، وجعلت الخصوم يفكرون بمعنى الاسلام. حضرت كل من «أم أيمن» و «أم سلمة» وهما امرأتان ذواتا منزلة رفيعة فى الاسلام كما كانتا شغفتين بفاطمة الزهراء، عند رسول الله بيت عائشة مع باقى زوجاته، فأحدقن به و قلن: فديناك بأبائنا وأمهاتنا يا رسول الله وقد اجتمعنا لأمر لو أن خديجة فى الاحياء لقرت بذلك عينها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٨ قالت «أم سلمة»: فلما ذكرنا خديجة بكى رسول الله ثم قال: خديجة وأين مثل خديجة، صدقتى حين كذبنى الناس و وازرتنى على دين الله و أعانتنى عليه بمالها، إن الله عز وجل أمرنى أن أبشر خديجة ببيت الجنة من قصب (الزمرد) لاصخب فيه ولا نصب. قالت «أم سلمة»: فقلنا:

فدينك بآبائنا وأمّهاتنا يا رسول الله أنك لم تذكر من خديجة أمراً إلا وقد كانت كذلك غير أنّها قد مضت الى ربّها، فهأها الله بذلك وجمع بيننا وبينها في درجات جنته ورضوانه ورحمته، يا رسول الله وهذا أخوك في الدنيا وابن عمك في النسب على بن أبي طالب يجب أن تدخل عليه زوجته فاطمة، وجمع بها شمله. فقال: يا أم سلمة فما بال علي عليه السلام لا يسألني ذلك؟ فقلت: يمنع الحياء منك يا رسول الله. قالت «أم أيمن»: فقال لي رسول الله: انطلقى الى عليّ فأتيني به فخرجت من عند رسول الله فاذا عليّ ينتظرني ليسألني عن جواب رسول الله، فلما رآني قال: ما وراءك يا أم أيمن، قلت: أجب رسول الله. قال: فدخلت عليه وقمن أزواجه فدخلن البيت وجلست بين يديه مطرقاً نحو الارض حياءً منه، فقال أتحتب أن تدخل عليك زوجتك؟ فقلت و أنا مطرق: نعم فداك أبي و أمي، فقال: نعم و كرامة يا أبا الحسن أدخلها عليك في ليلتنا هذه أو في ليلة غد ان شاء الله، فقمتم فرحاً مسروراً و أمر أزواجه أن يزين فاطمة و يطيبنها و يفرشن لها بيتاً ليدخلنها على بعلها، ففعلن ذلك. و أخذ رسول الله من الدراهم التي سلمها الي «أم سلمة» عشرة دراهم فدفعها اليّ و قال: اشتر سمناً و تمرّاً و أقطاً، فاشترت و أقبلت به الى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٢٩ رسول الله، فحسر عن ذراعيه و دعا بسفرة من آدم و جعل يشدخ التمر و السمن و يخلطهما بالأقط حتى اتخذه حيساً. ثم قال يا علي ادع من أحببت، فخرجت الى المسجد و أصحاب رسول الله متوافرون، فقلت: أجيئوا رسول الله، فقاموا جميعاً و أقبلوا نحو النبي، فأخبرته بأن القوم كثير، فجعل السفرة بمنديل، و قال: ادخل عليّ عشرة بعد عشرة، ففعلت و جعلوا يأكلون يخرجون و لا ينقص الطعام، حتى لقد أكل من ذلك الحيس سبع مائة رجل و امرأه بركة النبي. قالت «أم سلمة»: ثم دعا بابنته فاطمة، و دعا بعليّ، فأخذ علياً يمينه و فاطمة بشماله، و جعلهما الى صدره، فقبل بين أعينهما، و دفع فاطمة الى عليّ و قال: يا علي نعم الزوجة زوجتك، ثم أقبل علي فاطمة و قال: يا فاطمة نعم البعل بعلك ثم قام يمشى بينهما حتى أدخلهما بيتهما الذي هبىء لهما، ثم خرج من عندهما فأخذ بعضادتي الباب فقال: طهر كما لله و طهر نسلكما أنا سلم لمن سالمكما و حرب لمن حاربكما، أستودعكما الله و استخلفه عليكم. (١) ليعتبر عشاق الدنيا و ذوو الايمان الضعيف المتأثرون بزخارف هذا العالم المادى، الذين يرون كرامة و جلال العائلة في التشريفات القاصمة للظهر التي تقام في العرس، و ليستلهموا من هذا البناء التربوى للانسان الذى يعدّ ثروة و كنزاً لسعادة كل من الشباب و الشابات، و ليتفحصوا صفحات التاريخ و يشاهدوا بأعينهم كيف طبقت تعاليم الاسلام أحداث «خطبة» و «مهر» و «جهاز» و «مراسم حفلة زواج» سيدة النساء فاطمة الزهراء عليه السلام.

فاطمة عليها السلام بعد رحيل أبيها صلى الله عليه وآله

«ما زالت بعد أبيها معصبة الرأس باكية العين، محترقة القلب» (١) انقضت الفترة السعيدة من حياة سيدة النساء فاطمة الزهراء بسرعة، و ذلك بوفاء النبي الكريم- رغم أنها لم تذق معنى السعادة فى أى من مراحل حياتها بسبب الضغوط و الحروب و المؤامرات التي حاكها الاعداء ضد الاسلام و الرسول، مما سلب روح الزهراء الهدوء و الطمأنينة. و بارتحاله الى الرفيق الاعلى بدأت رياح الظلم و المصاعب تهب على آل بيته الميامين. فظهرت من جديد أحقاد بدرٍ و خيبر و حنين التي دُفنت فى عصر الرسول الأمين، تحت التراب، و ثار المنافقون و الاحزاب لينتقموا من الاسلام و من آل بيت محمد و خصوصاً ابنته فاطمة الزهراء التي كانت تمثل مركز الدائرة التي صوبت نحوها سهام الاعداء المسمومة. ألم فراق أبيها من ناحية مظلومية أمير المؤمنين على عليه السلام المؤلمة من ناحية أخرى. المؤامرات التي حاكها أعداء الاسلام من ناحية ثالثة. و قلق فاطمة على مستقبل المسلمين و كيفية الحفاظ على تعاليم القرآن. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٣١ اجتمعت هذه الامور مع بعضها لتعكر صفوها و تدمى قلبها، لكن فاطمة أخفت همها و غمها عن زوجها مخافة أن يتسع جرحه و معاناته من ظلم الأمة له، لهذا كانت تذهب الى قبر أبيها لتبتّ اليها آلامها و أحزانها و ما آل اليه حالها، فقد قالت ذات مرة: «يا أبتاه بقيت و الهه و حيرانه فريده، قد انخمد صوتي و انقطع ظهري و تنغص عيشي». و مرة أخرى نراها تقول: قُلْ لِلْمَغِيبِ تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى أَنْ كُنْتُ تَسْمَعُ صَرَخَتِي وَ نِدَائِي صُبْتُ عَلَى مَصَائِبٍ لَوْ أَنَّهَا صُبَّتْ عَلَى الْيَوْمِ صِرْنُ لِيَالِيَا قَدْ كُنْتُ

ذاتِ حَمِيٍّ بَظْلٍ مُحَمَّدٍ لَا أُخْشَى مِنْ ضَمِيمٍ وَكَانَ حَمًّا لِيَا فَالْيَوْمِ أَخْشَعُ لِلذَّلِيلِ وَأَتَقَى ضَمِيمِي وَأَدْفَعُ ظَالِمِي بِرِدَائِيَا إِذَا بَكَتْ قُمْرِيَّةٌ فِي لَيْلِهَا شَدِجْنَا عَلَى غُضُنِّ بَكِيَّتْ صَبَاحِيَا فَلأَجْعَلَنَّ الحُزْنَ بَعْدَكَ مُونَسِي وَلَا أَجْعَلَنَّ الدَّمْعَ فِيكَ وَشَاحِيَا مَاذَا عَلِيٌّ مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ أَنْ لَا يَشُمَّ مَيْدِي الزَّمَانِ عَوَالِيَا لِمَاذَا بَكَتِ فَاطِمَةُ بِهَذَا الشَّكْلِ؟ لِمَ كُلُّ هَذَا الجَزَعِ؟ لِمَاذَا عَدِمَ الِارْتِيَا حَذَا، كَأَنَّهَا الحَرْمَلُ عَلَى النَّارِ؟ لِمَاذَا؟ لِنَسْمَعُ مِنْهَا جَوَابَهَا عَلَى هَذِهِ التَّسْأُولَاتِ. تَقُولُ أُمُّ سَلْمَةَ: بَعْدَ وَفَاةِ الرَّسُولِ الكَرِيمِ ذَهَبَتْ لِزِيَارَةِ وَتَفَقَدَ حَالَ سَيِّدَةِ الْإِسْلَامِ فَاطِمَةَ الزَّهْرَاءِ فَلَخِصَتْ لِي حَالَهَا بِهَذِهِ الجَمَلِ العَمِيقَةِ: أَصْبَحْتُ بَيْنَ كَمَدٍ وَكَرْبِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامِ سَيِّدِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، ص: ٣٢ فَقَدَ النَّبِيُّ وَظَلَمَ الوَصِيَّ هُتَكَ وَاللَّهُ حَجَابَهُ... وَلَكِنَّهَا أَحْقَادُ بَدْرِيَّةٍ وَتَرَاتِ أَحَدِيَّةٍ كَانَتْ عَلَيْهَا قُلُوبُ النِّفَاقِ مَكْتَمَةً. «١» وَرَغْمَ ذَلِكَ لَمْ يَخْفَ عَلَى أَحَدٍ مَا تَحْمَلْتَهُ فِي سَبِيلِ الدِّفَاعِ عَنِ الحَرَمَةِ العُلُويَّةِ المَقْدَّسَةِ وَحَمَايَةِ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ. فَبالرَّغْمِ مِنْ قَصْرِ حَيَاتِهَا بَعْدَ أَبِيهَا، حَيْثُ اسْتَجَابَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى دَعَاؤُهَا وَتَبَّتْ بِدَوْرِهَا نِدَاءَ البَارِي «عَزَّ وَجَلَّ» لِتَنْتَقِلَ إِلَى جَوَارِ رَبِّهَا وَتَسَارِعَ لِرُؤْيَةِ أَبِيهَا، بِالرَّغْمِ مِنْ ذَلِكَ فَقَدَ بَدَلَتْ كُلَّ مَا فِي وَسْعِهَا مِنْ فِدَاءٍ وَتَضْحِيَّةٍ فِي الدِّفَاعِ عَنِ الْإِسْلَامِ وَالتَّذْكِيرِ بِحَقِّ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عَلِيٍّ. صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ. الزَّهْرَاءُ عَلَيْهَا السَّلَامُ سَيِّدِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، ص: ٣٣

فضائل الزهراء عليها السلام

إشارة

يجدر بالذكر هنا أن كل الأحاديث المذكورة في هذا القسم والتي تصل الأربعين حديثاً قد نقلت من مصادر أهل السنة المشهورة والمعروفة مع ذكر أدلتها.

منزلة فاطمة عليها السلام

يتبادر الى ذهن البعض من الذين يجهلون أو يتجاهلون الحقائق أن الفضائل الكريمة المذكورة لأهل بيت النبوة، ومنزلتهم السامية إنما تعزى الى حسن ظن مواليتهم وتعلقهم الشديد بآل محمد. فلأنهم يعشقون آل البيت لذا فهم لا يرون الامور الا من هذا المنظار، فكل ما يروى عنهم من فضيلة يؤمن بها الموالين دون أن يعيروا أهمية لسندها ومدى صحتها. ورفع سوء الظن من أولئك البعض، ولزيادة اطمئنان المحبين والموالين فسوف نلجأ الى مصادر المذاهب الاخرى المشهورة وكتبهم المعروفة لننقل ما جاء فيها من احاديث و فضائل عن أهل بيت النبوة. لقد ذكرنا من قبل فضائل سيدة النساء فاطمة الزهراء من خلال شرح موجز لحياتها المباركة، وغايتنا في هذا القسم من الكتاب أن نطلع على المقام المعنوي الرفيع لبنت رسول الله (و من خلال كتب أهل السنة المشهورة). وقبل الدخول في صلب هذا البحث، نرى من اللازم أن نذكر بعض النقاط المهمة: ١- من الظريف أن معظم المناقب والفضائل التي ذكرت في كتب الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٣٦ الشيعة عن فاطمة الزهراء، قد ذكرها أهل العامة في كتبهم المشهورة أيضاً، الا القليل منها، والتي ذكرت في مصادر الشيعة المعتمدة دون أن ترد في كتب الاخرين. ٢- لم يُنقل في هذا القسم من الكتاب الذي بين يديك أي رواية عن كتب الشيعة، كما اقتصرنا على كتب الحديث والتاريخ المشهورة والمعتمدة من بين جميع كتب ومصادر العامة. ٣- من المثير للدهشة، تلك العاصفة الهوجاء التي حلت بالأمة الاسلامية بعد وفاة رسول الله بسبب الخلاف، والتي كانت تستبطن حرف مسار الخلافة عن آل بيت محمد الى أشخاص آخرين، فبعد أن نصّبهم الله سبحانه وتعالى خلفاء للنبي في حياته قام هولاء الأشخاص بتنحيتهم عنها والاستيلاء على مسند الخلافة بعد وفاته. اقضاء أهل البيت سبب أن قام الحكام بمحو فضائلهم ومناقبهم، وبالتالي محو ما يُثبت أولويتهم وأحقيتهم بخلافة رسول الله محمد. بالاضافة الى أن اثبات تلك الفضائل والمناقب استدعو الجميع للتساؤل ما معنى أن يتصدى الآخرون لهذا الامر وأهل بيت النبوة يتمتعون بهذه المنزلة وهذا المقام؟! لم لا نقدم من قدمه الله

تعالى و الرسول؟ و لماذا يحرم المسلمون من بحر علوم هولاء؟ لماذا... و لماذا؟ لذا يتضح لنا أن محو أو تجاهل تلك الفضائل كان جزءاً من خططهم السياسية. وقد بلغت هذه المسألة أوجها في عصر حكومة «بنى أمية» و «بنى العباس»، و لم يكن فى السر أو فى الخفية بل علناً و أمام الملأ، و لم الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٣٧ يكتفوا بمحو فضائل أهل البيت فحسب بل و بدأوا باثبات فضيلة الآخرين من خلال نشر أحاديث و روايات موضوعه كاذبه، حتى وصل بهم الأمر الى شراء بعض الصحابة- أو أشباه الصحابة- لهذا العمل القبيح، و أجزلوا لهم العطاء. فلقد روى أن معاوية سلم لسمره بن جندب مائة ألف درهم حتى يروى أن الايتين الشريفتين التاليتين قد نزلتا فى على بن أبى طالب و هما: «ي وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَاسِدَ» (١) ي. و أن الآية التالية: «ي وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ» (٢) قد نزلت فى عبدالرحمن بن ملجم. فلم يقبل فبذل له مائتى ألف درهم فلم يقبل، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل فبذل له أربعمائة ألف فقبل و روى ذلك. و بهذا الشكل أصبح ذكر مناقب و فضائل آل البيت ممنوعاً على المنابر و فى المجالس بل و يُعدُّ جرماً سياسياً فى رأى النظام الحاكم، و من يخالف فقد حل عليه غضب النظام، فيسجن فى بئر مظلم أو يقطعوا لسانه أو يصلبوه. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٣٨ بعد ما جاء معاوية الى المدينة، حذر الصحابي و المفسر المعروف «ابن عباس» الذى كانت له مكانة خاصة فى المجتمع الاسلامى من ذكر فضائل على بن أبى طالب قال ابن عباس لمعاوية: أتمنع قراءة القرآن؟ (يعنى أنى أتلو الايات التى وردت فى حق على). قال: اقرأ القرآن ولكن لا تفسر آياته! لقد قدر فى مثل هذه الظروف أن تمحى فضائل آل البيت، لاسيما أن وسائل الاعلام آنذاك كانت مقتصرة على هذه المنابر و خطب الصلاة. ولكن العجيب أن فضائل و مناقب آل بيت النبى لم تختف رغم الجؤ المشحون الذى صنعه المنافقون و أنما ملأت كتب الصديق و العدو أيضاً. و الاعجب من ذلك أن نشاهد من بين تلك الوثائق التى تدل على فضائلهم اعترافات صريحة لاشخاص مثل «معاوية» و «عمر و بن العاص» و بعض الخلفاء المتقدمين يثبتون بها تلك الفضائل و المناقب التى كان يتمتع بها آل البيت، علماً أن هذه الاعترافات قد أرختها أيدى مؤرخيهم على صفحات التأريخ! وما ذلك إلا دليل على مشيئة الله فى فضح المنافقين، و اعجاز كبير لاهل بيت العصمة. ٤- أظهر الساعون فى محو فضائل آل بيت الرسول الكثير من التعصب، حيث لم يكتفوا بتشويه سمعة أمير المؤمنين على و أبنائه الكرام و درج أسمائهم فى القائمة السوداء لاولئك الحاقدين، و انما سعوا الى هدم و تحطيم مكانتهم الاجتماعية. و الأمر من ذلك أنهم عمدوا الى الحاق الأذى و الاساءة بكل كل من له علاقة بآل بيت محمد أياً كان نوعها. فلماذا يصر البعض على رغم الاثار و الدلائل التاريخية التى تشير الى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٣٩ ايمان أبى طالب عم و حامى الرسول بأنه مات كافراً و مشركاً؟! زاعمين أن الآية الشريفة. «وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْوَنُ عَنْهُ» (١) قد نزلت فيه! لا لشيء سوى أنه والد أمير المؤمنين على. و لماذا اصرارهم على أن «بأذر الغفارى» ذلك الرجل الشجاع، ذو «مذهب اشتراكى»، حيث يتهمونه فى كتبهم بأنه يحمل عقائد اشتراكية؟! ليس الا... كونه من خلص أصحاب أمير المؤمنين، و من المعترضين على الخليفة الثالث فى مسألة اتلاف و هدر مال المسلمين. و هناك الكثير من مثل هذه التساؤلات. فياترى بعد هذه المعاداة، ألا يعجب المرء من وجود كل هذه الفضائل و المناقب لال البيت فى كتب مخالفينهم؟ أليس من المعجزة أن تعبر أحاديث تحكى فضائل آل محمد عصوراً و أزمنة حارب فيها الحكام محبى آل البيت بشتى الطرق، حتى أنهم كانوا يعتبرون تسمية المولود باسم على جرماً لا يُغتفر؟! ٥- المثير للدهشة أن حذف تلك الفضائل لم يكن منحصراً بالقرون الاولى للاسلام، أو بعصر بنى أمية و بنى العباس فقط، ففى العصر الحاضر الذى يسمى «عصر المطالعات و الدراسات التاريخية الدقيقة» حيث طبع الكتب الاسلامية، و نشرها فى مختلف الدول الاسلامية لذا فإن أى تغيير أو تحريف أو حذف للحقائق يسبب فضيحة كبيرة، رغم ذلك نرى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٠ محققون متعصبون! (ان أمكن الجمع بين التحقيق و التعصب) قد انتهجوا نفس أسلوب الاعويين و العباسيين فى حذف و تغيير و تحريف الحقائق. مما حدى بالعلامة «الامينى» و هو المحقق الاسلامى الكبير الى أن يذكر فى كتابه «الغدير» بعضاً من النماذج. منها كيف أن المؤرخ المعروف «الطبرى»

حزف الحديث المربوط بقصه يوم الدار و تفسير آيه «و أنذر عشيرتِكَ الْأَقْرَبِينَ» و استعداد عليّ للوقوف بجانب رسول الله و اعلانه بوصايه و وزارة علي من بعده، حرف كل ذلك رغم سند الحديث المعتر عند كل المذاهب. و الأسوأ من ذلك ما فعله «محمد حسين هيكل» حيث نقل الحديث في الطبعة الاولى من تاريخه ثم حذف القسم الهم من الحديث في الطبعة التالية. «١» و الان و كما قلنا آنفاً فأننا سنذكر مناقب فاطمة الزهراء و مقامها الرفيع من خلال الاحاديث التي نقلتها كتب العامة المشهورة. و كما ذكرنا أيضاً فسوف لن ننقل أى حديث من مصادر و طرق الشيعة (رغم أنها معتبرة جداً و من الدرجة الاولى) فنخلى الميدان لاحاديث الاخرين حتى يتبين أن تألق هذه السيدة لا يمكن أن يخفيه الستار الذي ألقاه الحاقدون. يتم التركيز هنا على عشر مباحث تعتبر محاور أصلية للموضوع و أن الزهراء: ١- أنها سيده نساء العالمين. ٢- حوراء أنسية. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤١ ٣- محبوبة الرسول و بضعته. ٤- مقربة الى الله يرضى لرضاها و يغضب لغضبها. ٥- صاحبة التضحية الكبرى و الفداء. ٦- المقام العلمي لفاطمة. ٧- كرامات سيده النساء. ٨- أول من يدخل الجنة. ٩- أسامي فاطمة. ١٠- هدية النبي لابنته الزهراء. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٢

سيده نساء العالمين

من الطبيعي أن تختلف منزلة البشر من واحدٍ لآخر. فمنهم من علا بفضيلته على الملائكة المقربين، و منهم من هو أخط من الحيوانات. و طبقاً لما ينص عليه القرآن و يوصى به الاسلام فإن «العلم و الايمان و التقوى و الصفات الانسانية الفاضلة» هي التي ترفع من مقام الانسان و قيمته. و بالاستناد الى هذه المعايير فان سيده فاطمة الزهراء- و على لسان رسول الله- سيده نساء العالمين. لقد ورد في مصادر أهل السنة المعروفة كثيراً من الروايات تنص على أن فاطمة الزهراء أفضل نساء العالمين، حيث تحدث الرسول، بهذه لعدة مرات و بتعابير مختلفة. ١- قال: «ان أفضل نساء الجنة خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم». «١» ٢- و نقرأ في حديث آخر للرسول حين اعتل علّة الموت عندما شاهد قلق و اضطراب فاطمة انه قال: «يا فاطمة ألا ترضين أن تكوني سيده نساء العالمين، و سيده نساء هذه الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٣ الامة، و سيده نساء المؤمنين». «١» و هنا تظهر أفضلية فاطمة المطلقة، حيث لم يورد الرسول في حديثه اسماً آخر. ٣- نقل أبو نعيم الأصبهاني عن جابر بن سمرة. قال: جاء نبي الله فجلس و قال: ان فاطمة و جعة فقال القوم: لو عدناها؟ فقام فمشى حتى انتهى الى الباب- و الباب عليها مصفق- قال، فنادى: شدى عليك ثيابك فان القوم جاؤوا يعودونك. فقالت: يا نبي الله ما عليّ عباءة. قال فأخذ رداءً فرمى به اليها من وراء الباب، فقال: شدى بهذا رأسك، فدخل و دخل القوم ففعد ساعة فخرجوا، فقال القوم: تالله بنت نبينا على هذا الحال؟ قال فالتفت فقال: «أما أنها سيده النساء يوم القيامة». «٢» ٤- و بتعبير آخر رواه صحيح «٣» البخارى- و هو من أشهر مصادر الحديث عند العامة- نقلًا عن عائشة أنها قالت: أقبلت فاطمة كأن مشيتها مشية رسول الله فقال: مرحباً بابنتي ثم أجلسها عن يمينه ثم أسر إليها حديثاً فبكت. فقلت استخصك رسول الله و أنت تبكين ثم أنه أسر لها فضحكت. قالت: فقلت لها ما رأيت كاليوم أقرب فرحاً من حزن، ما أسر اليك؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٤ فقالت فاطمة: ما كنت لأفشى سر رسول الله. حتى اذا قبض الرسول سألتها، فقالت: أنه أسر اليّ و قال: كان جبرئيل يعارضني بالقران في كل عام و أنه عارضني به هذا العام مرتين و لا أراه الا قد حضر أجلى و أنك أول أهلي لحوقاً بي و نعم السلف أنا لك، فبكت لذلك فقال أما ترضين أن تكون سيده نساء أهل الجنة و نساء المؤمنين؟! فذلك الذي أضحكني. و يتضح جيداً من التأمل في هذه الاحاديث أنه اذا قيل أن فاطمة واحدة من أربع من النساء الفاضلات، فان ذلك لا ينافي كونها أفضل تلك النساء الأربع. و دليلنا على هذا ما يفيد الحديث التالي: * ٥- نقل في كتاب «ذخائر العقبى» عن ابن عباس أن الرسول الكريم قال: «أربع نسوة سيدات سادات عالمهن: مريم بنت عمران و آسية بنت مزاحم و خديجة بنت خويلد و فاطمة بنت محمد و أفضلهن فاطمة «١» و بالطبع فان كلمة «أفضلهن» تشتمل على عدة معان و تشير الى المنزلة العلمية و التقوى و الايثار و سائر الملكات الفاضلة.

لقد صرّح القرآن قائلاً: أن الملائكة كانت تكلم مريم، كما فى الاية الشريفة: «ي اذ قالت الملائكة يا مريم ان الله اصطفاك و طهرك و اصطفاك على نساء العالمين». «٢». وقد كلمت مريم الملائكة و هذا ما تنص عليه آية ١٦ الى آية ٢١ من الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٥ سورة مريم و ينص القرآن على أنه كان يؤتى لمريم بطعام من الجنة. حيث نقرأ فى الاية الشريفة: «ي فتقبّلها ربها بقبولٍ حسنٍ و أنبّتها نباتاً حسناً و كفّلها زكرياً كلما دخلَ عليها زكرياً المحراب و جدَ عندها رزقاً قال يا مريم انى لك هذا قالت هو من عند الله ان الله يزوق من يشاء غير حسابى» (١) و يصفها فى مكان آخر بأنها «صديقة»، كما فى الاية الشريفة: «ي ما المسيح ابن مريمِ الا رسولٌ قد خلت من قبله الرسل و أمه صديقةٌ كانا يأكلان الطعام أنظر كيف نبيّن لهم الآيات ثم أنظر انى يؤفكونى» (٢) و غير ذلك من الفضائل التى يشتهها للسيدة مريم و باقى النساء الفاضلات كآسية بنت مزاحم، و كذلك يثبت النبى مثل هذه الفضائل و الكرامات للسيدة خديجة الكبرى. و من هذا المنطلق نعرف أن لفاطمة مقام عالى أو منزلة رفيعة مكرمة، خصوصاً ما جاء فى روايه «الأفضيلة» التى تدل على أن هذه المفاخر و المناقب هى فى الواقع جزء مما تتحلى و تتميز به فاطمة. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٦

حوراء انسية

ان اللبنة الاولى فى بناء كيان الانسان هى انعقاد «النطقة»، لأنها على أية حالٍ تحمل قسماً مهماً من قيمه الوجودية. و لذلك تواترت الروايات التى توصى بضرورة سلامة هذه اللبنة و صحة تكوينها. و عند ما نطالع تاريخ حياة سيده النساء نرى أنها قد امتازت فى هذا المجال عن جميع شخصيات العالم رجالاً و نساءً. و من الأفضل أن نسمع هذا الحديث من فم رسول الله: * ٦- عن ابن عباس قال: كان النبى يكثر تقبيل فاطمة فقالت له عائشة: انك تكثر تقبيل فاطمة. فقال: ان جبرئيل ليلئأسرى بى أدخلنى الجنة فأطعمنى من جميع ثمارها فصار ماءً فى صلبى فحملت خديجة بفاطمة «فاذا اشتقت لتك الثمار قبلت فاطمة فأصبت من رائحتها جميع تلك الثمار التى أكلتها». «١» * ٧- و جدير بالذكر أن بعض الروايات قد نصت على فاكهة «التفاح»، كما هو فى كتاب «ذخائر العقبى» حيث ينقل «الطبرى» حديثاً للرسول الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٧ عن جمع من الصحابة أنه قال: «لما أسرى بى أدخلنى جبريل الجنة فناولنى تفاحةً فأكلتها فصارت نطفةً فى ظهري فلما نزلت من السماء واقعت خديجة. ففاطمة من تلك النطقة» «١» * ٨- و قد نقل فى حديث آخر أن الرسول قد تناول فاكهة «السفرجل» عند مروره بالجنة ليلة المعراج. جاء ذلك فى «مستدرک الصحيحين» نقلًا عن «سعد بن مالك». «٢» * ٩- و جاء فى حديث آخر أن الفاكهة التى تناولها الرسول كانت غير معروفةٍ لأهل الدنيا، كما أنها كانت لذيدةً و عطرةً النكهة حيث نقل «السيوطى» فى «الدر المنثور» عن الرسول أنه قال: «لما أسرى بى الى السماء أدخلت الجنة فوقفت على شجرةٍ من أشجار الجنة لم أر فى الجنة أحسن منها و لا أبيض ورقاً و لا أطيب ثمرةً، فتناولت من ثمرتها، فأكلتها فصارت نطفةً فى صلبى، فلما هبطت الى الارض واقعت خديجة، فحملت بفاطمة، فاذا أنا اشتقت الى ريح الجنة شممت ريح فاطمة» «٣» و فى الواقع فإن الحديث الأول فى هذا الفصل يحوى و يفسر مجموع هذه الاحاديث، فطبقاً لما جاء فيه فان الرسول قد تناول من جميع فواكه الجنة و أن نطفة فاطمة قد انعقدت من عصارة تلك الثمار. هذا مع الاخذ بنظر الاعتبار أن الدنيا التى نعيشها تختلف عن عالم الجنة بقدر تعجز معه ألفاظنا عن تبيان حقائقها، و ما نذكره عنها ما هو الا اشارات مختصرة لما تتمتع بها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٤٨ على كل حال فان حوراء أنسيةً بالمواصفات الخلقية و الطبيعية لاهل الجنة لا بد و أن تكون نطفتها من عصارة فاكهة الجنة، و هذا ما امتازت به هذه السيدة على سائر نساء العالمين. كانت من نساء الجنة، نفسها و خلقها، قلبها و روحها، لونها و هيئتها، قولها و حديثها، و غير ذلك من صفات و ميزات أهل الجنة، و خلاصة القول أنها من الجنة من رأسها الى أخمص قدميها. فهل فى تاريخ البشرية مثل هذا الوسام المشرف لغير هذه السيدة؟

فاطمة عليه السلام أحب الناس الى الرسول الكريم صلى الله عليه وآله

الحب والعشق، أقوى ما يربط بين موجودين. يفيد قانون الجاذبية الذى يحكم عالم المادة أن قوة الجذب تتناسب طردياً مع حاصل ضرب الكتلتين و عكسياً مع مربع المسافة بينهما. ويسرى حكم هذا القانون فى العالم المعنوى والعشق الالهى أيضاً. فكلما سمت قيمة الأشخاص و تقاربت نفوسها زادت علاقة الحب والعشق بينهما! مع وجود اختلاف بسيط يختص به عالم المادة، فأحياناً يولد الاختلاف والتضاد تجاذباً بين الجسمين (كما فى التجاذب الحاصل بين الشحنتين الموجبة والسالبة)، على خلاف ما يحدث فى عالم الأرواح حيث تقوى رابطة الجذب كلما زاد الشبه فيما بينهما، وتضعف إذا ما وجد التضاد والاختلاف. نتجه بعد هذه المقدمة القصيرة صوب عالم الأحاديث، لتتعرف على مدى علاقة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام، وإلى أى مقدار كان يحبها؟ * ١٠- يروى عن عائشة أنها قالت: «ما رأيت أحداً أشبه كلاماً وحديثاً من فاطمة برسول الله صلى الله عليه وآله وكانت الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٠ إذا دخلت عليه رحب بها، وقام إليها، فأخذ بيدها فقبلها، وأجلسها فى مجلسه». (١) * ١١- وجاء فى رواية أخرى. «كان كثيراً ما يقبل عرف فاطمة». (٢) * ١٢- وتنص رواية ثالثة على «كان كثيراً ما يقبلها فى فمها». (٣) * ١٣- لقد كان الرسول صلى الله عليه وآله يظهر الكثير من محبته لفاطمة عليها السلام حتى أثار ذلك حفيظة عائشة، حيث قالت لرسول الله صلى الله عليه وآله. «يا رسول الله ما لك إذا جاءت فاطمة قبلتها حتى تجعل لسانك فى فيها كله كأنك تريد أن تطعمها عسلًا؟! قال صلى الله عليه وآله: نعم يا عائشة، انى لما اسرى بى الى السماء... وقصص عليها قصة ثمار الجنة التى تناولها». (٤) * ١٤- وجاء فى صحيح أبى داود «كان رسول الله صلى الله عليه وآله اذا سافر كان آخر عهده بانسانٍ من أهله فاطمة عليها السلام و أول من يدخل عليه اذا قدم فاطمة عليها السلام» (٥) كما نقل «أحمد بن حنبل» هذه الرواية فى مسنده. (٦) لكن نعلم أن للحب والحنان الواقعيين طرفان، فالحنان المطلق له الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥١ جانب سلبي، ويكون سطحياً عديم القيمة، و كما أسلفنا فان العشق الواقعى دليل على التشابه، وعند ما يحصل التشابه ستتولد الجاذبية بين الطرفين. لذا فان الروايات الاسلامية تعكس حقيقة مهمة. ألا وهى أن العلاقة التى كانت تربط الرسول صلى الله عليه وآله بابنته فاطمة الزهراء عليها السلام كانت علاقة متبادلة و بنفس الشدة. و اليك شواهد ما أشرنا اليه: * ١٥- جاء فى صحيح مسلم عن عبدالله بن عمر بن محمد بن أبان الجعفى، بينما رسول الله، يصلى عند البيت و أبوجهل و أصحابه له جلوس و قد نحرت جزور بالأمس فقال أبوجهل: أيكم يقوم الى سلا جزور بنى فلان فيأخذه فيضعه فى كنفى محمد اذا سجد، فانبعث أشقى القوم فأخذه فلما سجد النبى صلى الله عليه وآله وضعه بين كتفيه، قال فاستضحكوا و جعل بعضهم يميل الى بعض و أنا قائم أنظر لو كانت لى منعة طرحته عن ظهر رسول الله صلى الله عليه وآله و آله، و النبى صلى الله عليه وآله ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق انسان فأخبر فاطمة فجاءت و هى جويرة فطرحته عنه ثم أقبلت عليهم تشتمهم فلما قضى النبى صلى الله عليه وآله صلواته رفع صوته ثم دعا عليهم، و كان اذا دعا ثلاثاً و اذا سأل سأل ثلاثاً ثم قال اللهم عليك بقريش ثلاث مرات فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك و خافوا دعوته ثم قال: اللهم عليك بأبى جهل بن هشام و عتبة بن ربيعة و شيبه بن ربيعة و الوليد بن عتبة و أمية بن خلف و عتبة بن أبى معيط. فوالذى بعث محمداً صلى الله عليه وآله بالحق لقد رأيت الذى سمى صرعى يوم بدر ثم سحجوا الى القلب قلب بدر» (١) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٢ نعم، لقد كانت الزهراء عليها السلام منذ صغرها خليطاً من «المحبة» و «الشجاعة»، و هى دائماً على أهبة الاستعداد فى الدفاع عن أبيها صلى الله عليه وآله. * ١٦- و نطالع أيضاً فى نفس المصدر السابق عن أحداث غزوة أحد ما يأتى: «قال سهل بن سعد: جرح وجه رسول الله صلى الله عليه وآله و كسرت رباعيته و هشمت البيضة على رأسه فكانت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله تغسل الدم و كان على بن أبى طالب يسكب عليها بالمجن فلما رأت فاطمة أن الماء لا يزيد الدم إلا كثرة، أخذت قطعة حصير فأحرقته حتى صار رماداً ثم ألصقته بالجرح فاستمسك الدم». (١) * ١٧- نقل «أبو نعيم الاصفهاني» فى «حلية الاولياء» عن على بن محمد بن اسماعيل عن ... عن أبى ثعلبة الخشنى أنه قال: قدم رسول الله صلى الله عليه وآله من غزاة له فدخل المسجد فضلى فيه ركعتين - و كان يعجبه اذا قدم أن

يدخل المسجد فيصلى فيه ركعتين - ثم خرج فأتى فاطمة فبدأ بها قبل بيوت أزواجه فاستقبلته فاطمة عليها السلام و جعلت تقبل وجهه وعينه و تبكى. فقال لها رسول الله صلى الله عليه و آله: ما يبكيك؟ قالت: أراك قد شحبت لونك. فقال لها: يا فاطمة، ان الله عز و جل بعث أباك بأمرٍ لم يبق على ظهر الارض بيت مدرٍ و لا شعر الا أدخله به عزاً أو ذلاً يبلغ حيث بلغ الليل. «٢» * ١٨- و روى فيما روى عن أحداث الخندق عن علي عليه السلام فى حفر الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٣ الخندق اذ جاءته فاطمة بكسرة من خبز فرفعتها اليه فقال ما هذه يا فاطمة، قالت: من قرصٍ اختبته لابنتي جئتك منه بهذه الكسرة. فقال: يا بنية أما أنها لأول طعام دخل فم أبيك منذ ثلاث. «١» ما أعظم قوى الجذب التى تربط بين هذا الاب و ابنته؟ جاذبية متأصلة فى أعماق روحيهما، و محبة قد ارتشفت من منبع وجود هما، و علاقة عشقٍ تمخض عنها اتحاد روح الأب بروح ابنته الملكوت الأعلى فهل هناك أفضل من هذا الافتخار لفاطمة الزهراء عليها السلام؟. فخر و فضيلة لم تكن لأى أحدٍ عبر تاريخ الاسلام سوى لمعلمها على ابن أبى طالب عليه السلام. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٤

قرب فاطمة عليها السلام من الله

نعلم أن الفناء هو أعلى مراتب القرب من الله سبحانه و تعالى. «الفناء» يعنى تجاهل و نسيان كل شىء، و كل ذى نفس، بل و حتى الذات فى مقابل الخالق الجبار. أى أن يصل المرء الى مرحلة لا يرى فيها الوجود الدنيوى إلا سراباً، و لا يشاهد هذا العالم المخلوق الا كظلل باهت زائل. يرى الله فى كل مكان، و يبحث عنه فى كل مكان. كالفراشة التى تدور حول شمعةٍ تحترق، يصهر ذاته فى وجود الله، فلا يرى قيمةً لكيانه فى حضرة الاله. يعد «التسليم المطلق» لا رادة الله «سبحانه و تعالى و احداً من الآثار المرتبة على وصول المرء لهذا المقام، فما يريد الله هو المراد، و ما يحبه هو الأصلاح. فرضاه من رضا الله، و رضا الله من رضاه. و بهذه المعايير العرفانية نتوجه صوب المقام العرفانى لسيدة نساء العالمين و نعرف على مدى سمو منزلتها عند الله و نطلع على الحقيقة التى أشار اليها رسول الاسلام الكريم صلى الله عليه و آله ١٩- نصت الكتب المعروفة لأهل السنة على الكثير من الروايات التى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٥ تشير الى أن الرسول صلى الله عليه و آله قال لا بنته فاطمة الزهراء عليها السلام: «ان الله يغضب لغضبك و يرضى لرضاك». «١» ٢٠- ورد فى «صحيح البخارى» الذى يعد من أشهر مصادر الحديث عند العامة أن الرسول «ص» قال: «فاطمة بضعة منى فمن أغضبها فقد أغضبني». «٢» ٢١- و نطالع فى مكانٍ آخر من نفس المصدر هذا الحديث: قال رسول الله صلى الله عليه و آله. «فانما هى فاطمة بضعة منى يربيني ما أرابها و يؤذيني ما آذاها». «٣» و كما أشرنا سابقاً فإن الأحاديث كثيرة فى هذا المجال، و كلها تحكى عن المقام العالى لفاطمة الزهراء عليها السلام فى معرفة الخالق و عن درجة عصمتها و إيمانها و إخلاصها. فقد سمت بمقامها إلى الله سبحانه و تعالى حتى صار رضاها و غضبها مرآة لرضا الله و رسوله و سخطهما، و لا يمكن أن تعادل هذه الدرجة السامية بأى شىء. ٢٢- و نهى بحثنا هذا بحديثٍ آخر ينقله لنا «صحيح الترمذى» فقد قال رسول الله صلى الله عليه و آله: «إنما فاطمة بضعة منى يؤذيني ما آذاها و ينصبنى ما نصبها». «٤» من البديهي أنه لا يمكن لظاهرة الحنان التى تربط الوالد بولده أن الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٦ تفسر هذا الأمر أن النبى «ص» رسول الله لا يريد إلا ما أراد الله، و أن رضا و سعادة فاطمة عليها السلام من رضا الله و رسوله ما هو إلا دليل على صهر إرادتها فيما يريد الله و يرضاه. لا بد من الإشارة هنا إلى نقطةٍ مهمة، و هى أن فسر البعض جملة «فاطمة بضعة منى» على أنها جزء من جسد الرسول صلى الله عليه و آله فى الوقت الذى يدل مفهوم الحديث على أن فاطمة عليها السلام جزء من كيان و وجود أبيها محمد صلى الله عليه و آله و من الناحيتين المادية و الروحية. و هذا ما ستشير إليه الروايات التى سنستعرضها إن شاء الله تعالى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٧

«حب الدنيا رأس كل خطيئة». بالاستناد إلى الحديث النبوي الشريف وإلى ما تمخضت عنه تجاربنا ومشاهداتنا في الحياة فإنَّ كلَّ التجاوزات، الجنایات، الأكاذيب، الخيانات، الظلم كانت نتيجةً لحب «المال» و«الجاه» و«الشهوة»، هنا يتضح أن الزهد والورع هما أساس التقوى والطهارة والصلاح. ولكن يجب معرفة ماهية الزهد، فالزهد لا يعنى ترك الدنيا والرهبة والاعتزال عن المجتمع، بل أن حقيقة الزهد هي الحرية وعدم الوقوع في شراك الدنيا. فالزاهد من لم يتعلق قلبه بالدنيا وان كانت عنده فلو أحس يوماً بأن رضا الله سبحانه وتعالى منوط بتركة لما في يديه كان مستعداً لهذا العمل، ويقول من أعماقه: يا ليت بيني وبينك عامر وبينى وبين العالمين خراب. وإذا استدعى الحفاظ على الحرية والشرف والإيمان أن يضحي بحياته وروحه وماله لم يتوان في ذلك ويصرخ من أعماقه هيهات منا الذلّة. وعلى حد قول القرآن الكريم في تعريفه للزاهد: الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٨ لكيلا تأسوا على ما فاتكم ولا تفرحوا بما آتاكمي «١» بعد هذه المقدمة القصيرة نتوجه إلى أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله و نتعرف من خلالها على وجهه نظره بشأن بشخصية فاطمة عليها السلام. ٢٣- نقل «ابن حجر» وآخرون في رواية عن الرسول صلى الله عليه وآله: «أخرج أحمد وغيره ما حصله أنه صلى الله عليه وآله كان إذا قدم من سفر أتى فاطمة وأطال المكث عندها ففي مرة صنعت لها مسكين من ورق وقلادة وقرطين وستر باب بيتها فقدم صلى الله عليه وآله ودخل عليها ثم خرج وقد عرف الغضب في وجهه حتى جلس على المنبر فظنت أنه إنما فعل ذلك لما رأى ما صنعته فأرسلت به إليه ليضعه في سبيل الله، فقال فعلت فداها أبوها ثلاث مرات، ليست الدنيا من محمد ولا من آل محمد ولو كانت الدنيا تعدل عند الله في الخير جناح بعوضة ما سقى منها كافراً شربة ماء، ثم قال فدخّل صلى الله عليه وآله عليها». «٢» من الواضح أن يكون ثمن السوارين والقرطين الفضيين والعقد الفضي زهيداً، والأزهد ثمناً منها ذلك الستار الذي يعلقه الإنسان على باب الغرفة، غير أن الرسول «ص» كان يعتبر أن ذلك ليس من شأن فاطمه عليها السلام، بل يرى أن فضيلتها وكرامتها تكمن في خصالها الإنسانية. تعلمت فاطمة عليها السلام هذا الدرس من أبيها مباشرة، حيث رمت بالدنيا وزخرفها جانباً محررة نفسها من ذلك الأسر من ناحية وأنفقت ما في يدها في سبيل الله من ناحية أخرى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٥٩ لقد عرفنا من خلال الحديث الذي سبق ذكره - برقم ٣- نقلًا عن كتاب «حليد الأولياء» لم تكن تملك الحجاب الكافي عند مجيء الرسول صلى الله عليه وآله وأصحابه لعيادتها، مما حدا به صلى الله عليه وآله أن يناولها عباؤته لتستر نفسها وتستعد للضيوف الذين جاؤوا لعيادتها. إن جهاز فاطمة عليها السلام ومراسم الزفاف التي جرت بمنتهى البساطة، وتفانيها في القيام على شؤون بيتها، حيث تحضن طفلها في إحدى يديها وفي الأخرى تطحن الشعير لتهدئ لهم الخبز، كل ذلك شواهد صادقة على زهداها العالى وإيمانها الصادق. ويشير الحديث التالى إلى هذا المعنى * ٢٤- نقل أبو نعيم الأصفهاني في «حلية الأولياء»: «لقد طحنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وآله حتى مجلت يدها و ربا، وأثر قطب الرحي في يدها» «١». * ٢٥- نقل في «مسند أحمد» وهو أحد أشهر مصادر أهل السنة عن «أنس بن مالك» أنه قال: إن بلالاً بطأ عن صلاة الصبح فقال له النبي صلى الله عليه وآله ما حبسك فقال: مررت بفاطمة وهي تطحن والصبي يبكي فقلت لها إن شئت كفيتك الرحا وكفيتني الصبي وإن شئت كفيتك الصبي وكفيتني الرحا فقالت أنا أرفق بابني منك. فذاك حبسني. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «فرحمتها يرحمك الله». «٢» من الفضائل الأخلاقية التي تتحلى بها سيده النساء هي الشجاعة والشهامة في دفاعها من أبيها الرسول الكريم صلى الله عليه وآله ضد مشركى مكة، كما أن الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٦٠ مجيئها الى ميدان أُحُد وتضميدها جراح الرسول صلى الله عليه وآله لم يكن ليخف عن أى أحد، وهذا ما أثبتته الأحاديث التي ذكرناها آنفاً. لقد سارت على طريق العبودية وعبادة الله منذ ولادتها، وهي على هذا الحال إلى أن فارقت روحها الحياة. والحديث الآتى يدل على هذا المعنى * ٢٦- جاء في «ذخائر العقبى» ما جاء في قصة ولادة فاطمة الزهراء عليه السلام وانعقاد نطفتها من ثمار الجنة وحضور النساء الأربع عند ولادتها: «فولدت فاطمة عليها السلام فوَقعت حين وقعت على الأرض ساجدة». «١» * ٢٧- ونطالع في نفس المصدر رواية تدلُّ على سموها وعفتها، حيث تنقل «أسماء بنت عميس» هذه القصة العجيبة: قالت فاطمة عليها السلام لأسماء بنت عميس يا أسماء إنى استقبحت ما يصنع

عندما تقوى روح الانسان، و تمتلىء بالصفات الالهية، و ينال منزلة القرب من الله، فإن إرادته (بمشيئة الله) ستؤثر في العالم التكويني و سيحدث له ما يريد. و هذه هي الولاية التكوينية التي تمتع بها أولياء الله، و هي منبع كراماتهم المختلفة التي تميز الأنبياء صلى الله عليه و آله بأعلى مراتبها و هي المعجزات. و لقد حبي الله فاطمة الزهراء عليها السلام بمقدار كبير من تلك العناية الإلهية. و هذا ما تدل عليه الرواية التالية: * ٣٠- نقل كثير من مفسري العامة و منهم «الزمخشري» في «الكشاف» و «السيوطي» في «الدر المنثور» في أسفل الاية الشريفة: «كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ أَنَّى لَكَ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ» عن جابر بن عبد الله الأنصاري أنه قال: أقام رسول الله صلى الله عليه و آله أياماً لم يطعم طعاماً حتى شق ذلك عليه فطاف في منازل أزواجه فلم يجد عند واحدةٍ منهن شيئاً فأتى فاطمة عليها السلام فقال يا بنية هل عندك شيء آكله فإني جائع فقالت لا و الله فلما خرج من عندها بعثت إليها جارة لها برغيفين و قطعة فأخذته منها فوضعت في جفنة لها الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٦٥ و قالت و الله لأؤثرن بهذا رسول الله صلى الله عليه و آله على نفسي و من عندي و كانوا جميعاً محتاجين إلى شعبة طعام فبعثت حسناً إلى رسول الله صلى الله عليه و آله فرجع إليها فقالت له بأبي أنت و أمي قد أتى الله بشيء قد خباته لك فقال هلمي يا بنية بالجفنة فكشفت عن الجفنة فإذا هي مملوءة خبزاً و لحماً فلما نظرت إليها بهتت و عرفت أنها بركة من الله فحمدت الله تعالى و قدمته إلى النبي صلى الله عليه و آله فلما رآه حمد الله و قال من أين لك هذا يا بنية قالت يا أبت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب فحمد الله ثم قال الحمد لله الذي جعلك شبيهة سيدة نساء بني إسرائيل فإنها كانت إذا رزقها الله رزقاً فسئلت عنه قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب. ثم جمع رسول الله صلى الله عليه و آله على بن أبي طالب عليه السلام و الحسن و الحسين عليه السلام و جميع أهل بيته فأكلوا منه حتى شبعوا و بقي الطعام كما هو، فأوسعت فاطمة عليها السلام على جيرانها (١) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٦٦

أول من يرد الجنة

إن سعادة المرء الواقعية تكمن في دخوله الجنة، حيث الرحمة الالهية الواسعة، و أفضل الناس من سبق إليها. و قد ثبت من خلال روايات أهل السنة المعروفة أن الرسول صلى الله عليه و آله نسب هذه المتقية إلى فاطمة الزهراء عليها السلام و لعدة مرات. * ٣١- جاء في «ميزان الاعتدال» للذهبي نقلًا عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله: «أول شخص يدخل الجنة فاطمة عليها السلام». (١) * ٣٢- و نقل عنه صلى الله عليه و آله في حديث آخر أنه قال: «أول شخص يدخل الجنة فاطمة بنت محمد صلى الله عليه و آله و مثلها في هذه الأمة مثل مريم في بني إسرائيل». (٢) و بغض النظر عما سبق نستدل من الروايات الإسلامية المعروفة على أن ورودها إلى ساحة المحشر، و منها إلى الجنة سيكون مصحوباً بمراسم و تشریفات غاية في العظمة مما يدل على سمو منزلتها و عظم مقامها. * ٣٣- نقل علي بن أبي طالب عن رسول الله صلى الله عليه و آله أنه قال: «تحشر ابنتي فاطمة يوم القيامة و عليها حلة الكرامة قد عجت بماء الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٦٧ الحيوان، فتتظر إليها الخلائق فيتعجبون منها». و يضيف صلى الله عليه و آله في آخر الحديث: «فتزف إلى الجنة كالعروس لها سبعون ألف جارية» (١) * ٣٤- و تروى عائشة حديثاً آخر عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و آله: «إذا كان يوم القيامة نادى مناد يا معشر الخلائق طأطؤا رؤسكم حتى تجوز فاطمة بنت محمد». (٢) * ٣٥- و نقرأ في حديث آخر يشير إلى نفس المعنى «فتمرغ سبعين ألف جارية من الحور العين كثر البراق». (٣) * ٣٦- و الأعبج من ذلك ما نقله كتاب «تاريخ بغداد» عن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله أنه قال: عند ما عرج بي إلى السماء في تلك الليلة رأيت باب الجنة و قد كتب عليها: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي حبيب الله، و الحسن و الحسين صفوة الله و فاطمة خيرة الله، علي باغضهم لعنة الله». (٤) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٦٨

معاني أسماء فاطمة عليها السلام

تكشف الأسماء عادةً عن ماهية المسمى خصوصاً إذا كان واضح الاسم حكيمًا، ونستشف من مجموع الأحاديث أن تسميته هذه السيدة الجليلة كانت بواسطة حكيم الحكماء المطلق ألا وهو رب العالمين «جلّ و علا». و من ناحية أخرى فإن فاطمة على وزن «فطم» (على وزن فعل) و هو بمعنى انقطاع الطفل عن الرضاعة، ثم أطلق على كل ما يحمل معنى الانفصال. و الآن لتتعرف على ما جاء في الروايات الإسلامية؟ * ٣٧- روى عن الرسول صلى الله عليه و آله أنه قال: «إنما سماها فاطمة لأن الله فطمها و محبها من النار». (١) يستفاد من هذا التعبير أن تسمية هذه السيدة الجليلة بهذا الاسم إنما كان من قبل الله سبحانه و تعالى و معناه أنه وعد فاطمة عليها السلام و محبها و المنتهجين نهجها أن لا تمسهم النار. * ٣٨- نقرأ في «ذخائر العقبى عن على عليه السلام أن الرسول صلى الله عليه و آله قال لفاطمة عليها السلام يا فاطمة أتدرين لم سُميت فاطمة؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٦٩ فقال على عليه السلام: لم سُميت فاطمة يا رسول الله؟ فقال رسول الله: «إن الله عزّ و جل قد فطمها و ذريتها عن النار يوم القيامة». (١) من البديهي أن القصد من «ذرية» هم الذين يسرون على نهج هذه الأم العظيمة، و ليس كمثل ابن نوح حيث جاء الخطاب: «إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح». و لهذا نرى أن بعض الأحاديث قد جمعت بين كلمتي «ذرية» و «محبى» في آن واحد، و من كان يظن منا أن معنى الروايات الأخيرة هو نجاة العاصي منهم و حتى الكافر المشرك من العذاب الالهي لمحبته لفاطمة الزهراء عليها السلام، فهو على خطأ لأن ذلك لا يتفق مع أى من المعايير الإسلامية، إضافةً إلى أن الرسول صلى الله عليه و آله و هو أصل هذه الشجرة الطيبة قد خوطب في القرآن المجيد بهذه الصورة في الآية الشريفة: «يَلْبَسُونَ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٢) و صرحت آية أخرى «وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ» (٣) فهل يمكن للفرع أن يعلو على الأصل؟ و هل أن أبناء رسول الله أفضل منه؟! مما لا شك فيه أن الرسول صلى الله عليه و آله لم يطرأ على تفكيره الشرك بالله أبداً، الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧٠ لم (و العياذ بالله) يكذب على الله، لكن هذه الآيات تضر في محتواها درساً كبيراً للأمة الإسلامية، حتى يعلم الجميع أن نجاة المرء مقرونة بإخلاصه لله. و هذا لا يتنافى مع المقام السامى و الدرجة الرفيعة لأئمة الأمة الإسلامية و ساداتها. من المتعارف عند العرب أن يُكنى الرجل ب «أب» و تُكنى المرأة ب «أم»، هذا بالإضافة إلى أسمائهم. و من بين الكنى التي كُتبت بها فاطمة الزهراء عليها السلام تبرز كنيةً عجيبةً تدل على عظمة الزهراء عليها السلام، كما في الرواية التالية: ٣٩- ورد في كتاب «أسد الغابة»: «كانت فاطمة تُكنى أم أبيها». (١) و ورد نفس المعنى في كتاب «الاستيعاب» نقلًا عن الإمام الصادق عليه السلام: (٢) «لم ير لهذا التعبير العجيب نظيراً فى أى من نساء الإسلام، و هو يدل على أن هذه البنت الوفيه كانت تقوم بدور الأم فى رعايتها لأبيها و السهر عليه.» نعلم أن الرسول الكريم صلى الله عليه و آله فقد أمه و هو فى مرحلة الطفولة، لكن ابنته هذه لم تقصر فى محبتها و حنانها و قلقها عليه رغم صغر سنها. فهى بنت مضحية و فدايئة من ناحية، و هى أم مؤثرة حنونة من ناحية أخرى و مواسية و فيه من ناحيةٍ ثالثة، و قد شهدت بذلك الروايات التى ذكرناها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص:

هدية الرسول صلى الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام

إشارة

سجلت صفحات التاريخ بعضاً من الهدايا المعنوية التى منحها الرسول الكريم صلى الله عليه و آله لابنته فاطمة عليها السلام و التى فاقت كل واحدةٍ منها الأخرى لا سيما تسيحة الزهراء، هذا بالإضافة إلى هدية مادية معنوية منحها صلى الله عليه و آله لفاطمة عليها السلام بأمر إلهي، كما نصّ على ذلك متن الرواية التالية: ٤٠- جاء فى الدر المنثور «للسيوطي» عن البراز و أبى يعلى و ابن حاتم و ابن

مردويه عن سعيد الخدرى أنه قال: «لما نزلت الآية «وآت ذا القربى حقه» (١) دعا رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة الزهراء عليها السلام وأعطاهما فدكاً». (٢) وبالطبع (كما سيأتى شرحه فى فصل - أحداث فدك المؤلمة-) فإن منح فدك لفاطمة عليها السلام لم تكن مسألة أو هدية عادية، بل كانت سنداً ودعامةً لولاية على بن أبى طالب عليه السلام و عاملاً فى تقوية وتثبيت مقام هذه العائلة الكريمة، و من هذا المنطلق فهى تعدُّ هديةً معنويةً. و لكنَّ النظام الذى أدرك معنى هذه الهدية جيداً، سارع بعد رحيل الرسول صلى الله عليه وآله إلى انتزاعها من فاطمة الزهراء عليها السلام و ضمها إلى بيت المال مستنداً فى ذلك إلى حديث موضوع و حجة باطلة. و هذه قصة طويلة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧٤ مملوءةً بالعبر و الاحداث المؤلمة و الظالمة، و التى يمكن اعتبارها سنداً إسلامياً مهماً فى تحليل تاريخ صدر الاسلام و الحوادث التى أعقبت رحيل النبى صلى الله عليه وآله. و نوكل الحديث إلى محله. «إلهى!»! أحيانا ما أحييتنا على محبة و موالاة هذه السيدة و أبيها و بعلها و بنيتها- صلوات الله عليهم- و احشرننا فى زميرتهم. «يا رب» و فقتنا فى اتباع نهجهم، و الاهتداء بنور هدايتهم، و الاقتداء بسنتهم. «و اجعلنا ممن يأخذ بحجزتهم، و يمكث فى ظلمهم، و يهتدى بهداهم». «آمين يا رب العالمين» الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧٥

أحداث فدك المؤلمة

إشارة

تعد قصة «فدك» من أعمم القصص التى مرت بحياة فاطمة الزهراء عليها السلام خصوصاً، و أهل البيت عموماً، و تأريخ الإسلام بشكلٍ أوسع و أعم، و التى حيكت أحداثها مع المؤامرات السياسية الوجودية، كما أنها منفذ لحل بعض من ألغاز تأريخ صدر الإسلام. فدك؛ ماذا كانت و أين كانت؟ ذكر كثير من المؤرخين و أرباب اللغة بأن «فدك» قرية بالحجاز- قريبة من خيبر- بينها و بين المدينة يومان، و قيل ثلاثة، (و كتب البعض أنها تبعد عن المدينة بمسافة مقدارها ١٤٠ كيلومتر) أفاءها الله على رسوله صلى الله عليه وآله، و فيها عين فواره و نخل كثير، (١) و تعد مركزاً مهماً لليهود فى أرض الحجاز بعد خيبر. و فى كيفية انتقال هذه الأرض الخضراء المعمورة لرسول الله صلى الله عليه وآله، فالمعروف هو أن الانتصار الذى حققه رسول الله صلى الله عليه وآله فى فتح حصون خيبر أربع أهل فدك المتعصين، فأرسلوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله و آله أن يصلحهم على نصف «فدك»، فقبل الرسول صلى الله عليه وآله ذلك منهم و أمضى ذلك الصلح، و الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧٦ بهذا فهى ممالم يوجف عليه بخيل و لا ركاب. و بما أن القرآن ينص على «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوجِفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (١) «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (٢) لذا فهى خالصة لرسول الله صلى الله عليه وآله، يصرف ما يأتى منها فى «أبناء السبيل» و أمثال ذلك. نقل هذا الحديث كل من ياقوت الحموى فى «معجم البلدان» و ابن منظور الأندلسى فى «لسان العرب» و آخرون كثيرون. و أشار إلى ذلك أيضاً «الطبرى» فى تأريخه و «ابن الأثير» فى كتاب «الكامل». (٣) كما كتب الكثير من المؤرخين أن الرسول صلى الله عليه وآله قد منح ابنته الزهراء عليها السلام فدكاً فى حياته. (٤) الدليل البين الذى يثبت هذه الحقيقة هو ما نقله المفسرون الكبار، منهم مفسر أهل السنة المعروف «جلال الدين السيوطى» فى كتاب «الدر المنثور»، حيث نقل فى ذيل الآية السادسة عشرة من سورة الإسراء حديثاً عن «أبى سعيد الخدرى» يقول فيه: «لما نزل قوله تعالى- و آت ذا القربى حقه أعطى رسول الله صلى الله عليه وآله فاطمة فدكاً». (٥) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧٧ الدليل الحى الآخر الذى يعتبر سنداً مهماً فى هذا الأمر- أو لهذا الادعاء- هو قول أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام فى نهج البلاغة: «بلى كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم وسخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم

الحكم لله». «١» يشير هذا الحديث بوضوح إلى أن فدكاً كانت بيد عليّ و فاطمة عليها السلام في حياة الرسول صلى الله عليه و آله، لكن بعض الحكام البخلاء تعلقوا بها، فتخلى عليّ و زوجته عليها السلام عنها مجبرين. و من البديهي أنهم لم يكونوا موافقين لما حدث، و إلا فما معنى سؤال و طلب الأمير عليه السلام من الله سبحانه و تعالى في أن يحكم بينه و بينهم. نقل الكثير من علماء الشيعة أيضاً في كتبهم المعتمدة روايات تتعلق بهذه المسألة منهم: المرحوم الكليني «الكافي» و المرحوم «الصدوق» و المرحوم «محمد ابن مسعود العياشي» في تفسيره، و «علي ابن عيسى الأربلي» في «كشف الغمّة»، و آخرون في كتب الحديث و التأريخ و التفسير، لا يسع المقام لذكرهم. الآن ... لنرى لماذا و بأيّ دليل انتزعت الزهراء عليها السلام فدكها؟.

١- العوامل السياسية في غضب فدك

لم تكن مسألة انتزاع «فدك» من الزهراء عليها السلام مسألة عادية لا تحمل إلّا الجانب المادي فحسب، بل إن جانبها الاقتصادي قد انصبّ في قالب المسائل السياسية التي حكمت المجتمع الإسلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله، و في الحقيقة لا يمكن فصل مسألة «فدك» عن سائر أحداث ذلك العصر، و إنما هي حلقة من سلسلة كبيرة، و ظاهرة من وقائع شاملة و واسعة! إنّ لهذا الغضب التاريخي الكبير عواملًا نوردها في النقاط التالية: ١- يعتبر وجود «فدك» في حيازة آل بيت النبوة عليه السلام ميزة كبيرة لهم، و هذا بحد ذاته دليل على علو مقامهم عند الله و قربهم الشديد من الرسول صلى الله عليه و آله، خصوصاً ما نقلته كتب الشيعة و السنة في الروايات التي ذكرناها آنفاً من أن الرسول صلى الله عليه و آله استدعى فاطمة عليها السلام بعد نزول الآية «و آت ذا القربى و أعطاهما فدكاً. من الواضح أن وجود «فدك» في حيازة آل بيت محمد صلى الله عليه و آله منذ البداية يكون مدعاةً لالتفاف الناس حولهم و البحث عن سائر آثار النبي الكريم صلى الله عليه و آله في هذه العائلة خصوصاً مسألة الخلافة، و هذا الأمر لم يكن ليتحملة مؤيدو إنتقال الخلافة إلى الآخرين. ٢- كانت هذه المسألة مهمة في بعدها الاقتصادي، كما هو أثرها الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٧٩ الفعال في بعدها السياسي، لأن وقوع أمير المؤمنين عليه السلام و آله في مضيقه اقتصادية يؤدي إلى تدهور وضعهم السياسي بنفس النسبة. بعبارة أخرى فإنّ حيازتهم على فدك يوفر لهم امتيازات تكون بمثابة المتكأ الذي تستند عليه مسألة الولاية كما فعلت أموال خديجة عليها السلام في انتشار الإسلام في بدء دعوة نبي الإسلام صلى الله عليه و آله. من المتعارف عليه في جميع أنحاء العالم أنه إذا أريد طمس شخصيه كبيرة، أو تقييد دوله ما لتعيش حالة الانزواء فإنه يعمل على محاصرتها اقتصادياً، و قد نصّ تاريخ الإسلام في قصة «شعب أبي طالب» عندما حوصر المسلمون من قبل المشركين حصاراً اقتصادياً شديداً. في تفسير سورة المنافقين، و في ذيل الآية «لئن رجعنا إلى المدينة لئخرجنّ الأعزّ منها الأدلى» «١» أشير إلى مؤامرة شبيهة بهذه المؤامرة قد حاكها المنافقون، لكنّ اللطف الإلهي أحمد نارها و هي في المهد، لذا فليس من العجب في شيء أن يسعى المخالفون إلى انتزاع هذه الثروة من آل بيت النبي الكريم صلى الله عليه و آله، و إخلاء أيديهم و دفعهم بعيداً عن الساحة. ٣- و إن هم و افقوا على أن فدك ميراث النبي صلى الله عليه و آله أو هديته لا بنته فاطمة الزهراء عليها السلام و بالتالي تسليمها إليها فإن ذلك سيفتح الطريق لها في المطالبة بمسألة الخلافة. هذه النقطة يطرحها العالم السني المشهور «ابن أبي الحديد المعتزلي» في شرح «نهج البلاغه» بصورةً ظريفةً حيث يقول: «سألت علي بن الفارقي مدرس المدرسة الغربية ببغداد، فقلت له: أكانت فاطمة صادقة؟ قال: نعم، قلت: فلم لم يدفع إليها أبو بكر فدك و هي عنده صادقة؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٠ فتبسم، ثم قال كلاماً لطيفاً مستحسنًا مع ناموسه و حرمة و قلّه دعابته، قال: لو أعطاه اليوم فدك بمجرد دعواها ل جاءت إليه غداً و ادعت لزوجها الخلافة، و زحزحته عن مقامه، و لم يكن يمكنه الاعتذار و المدافعة بشيء، لأنه يكون قد سجل على نفسه أنها صادقة فيما تدعيه كائناً ما كان من غير حاجة إلى بيّنه و لا شهود» و بعدها يضيف «ابن أبي الحديد» قائلاً: «و هذا كلام صحيح، و إن كان أخرجه مخرج الدعابة و الهزل». «١» إنّ هذا الاعتراف الصريح الذي أدلى به اثنان من علماء أهل السنة، لشاهد حيّ على أن لقصة فدك جانباً سياسياً هاماً. ولكي يتضح هذا المعنى سنقف في البحث التالي على

مصير هذه القرية عبر تاريخ الإسلام منذ قرونه الأولى و كيف أنها انتقلت من يد إلى أخرى و كيف تباينت آراء الخلفاء بخصوصها.

٢- فدك عبر العصور

كيف عادت فدك لأهل البيت عليهم السلام يعد مسير فدك التاريخ من عجائب التاريخ الإسلامي فقد كان لكل من الخلفاء عبر العصور موقفاً خاصاً منها، فمنهم من قبضها ومنهم من ردها إلى أصحابها، و طال الأمد بها على هذا الحال إلى أن صبحت الأرض و ضاع منها نعيمها. و للتعرف على فصول النزاع الذي مرت به هذه القرية العامرة يكفيننا الوقوف على النقاط التالية: ١- إنتقلت «فدك» كما نعلم إلى الرسول صلى الله عليه و آله بعد سقوط خيبر لأنه قبل الصلح مع اليهود. و طبقاً لآية الشريفة «وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ...» فقد صارت كلها ملكاً شخصياً مختصاً برسول الله صلى الله عليه و آله. ٢- طبقاً للوثائق التاريخية المعتبرة فإن الرسول صلى الله عليه و آله منح و بأمر إلهي فدكاً إلى فاطمة الزهراء عليها السلام في حياته، و ذلك عند ما نزلت الآية الشريفة «وآت ذا القربى حقه». بهذه الصورة أصبحت في حيازة ابنه الرسول الكريم صلى الله عليه و آله. ٣- اغتصبت هذه المعمورة في زمن الخليفة الأول، و صُمت إلى أموال الدولة، و قد سعى هؤلاء إلى الحفاظ على هذا الوضع. ٤- ظل الوضع على هذا الحال إلى أن آلت الخلافة إلى الخليفة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٢ الأموي «عمر بن عبد العزيز» الذي كان أقرب لأهل البيت عليه السلام من غيره، حيث نقرأ في شرح نهج البلاغة: «لما ولى عمر بن عبد العزيز ردّ فدك على ولد فاطمة، و كتب إلى و اليه على المدينة أبي بكر عمرو بن حزم يأمره بذلك، فكتب إليه: إن فاطمة قد ولدت في آل عثمان، و آل فلان و آل فلان، فعلى من أردّ منهم؟ فكتب إليه: «أما بعد: فإنني لو كتبت إليك أمرك أن تذبح شاةً لكتبت إلى: أجماء أم قرناء؟ أو كتبت إليك أن تذبح بقرةً لسألتني: ما لونها؟ فإذا ورد عليك كتابي هذا فاقسمها في ولد فاطمة من عليّ عليه السلام والسلام». (١) بهذا الشكل صارت «فدك» بيد أبناء فاطمة عليها السلام بعد أن دارت دورةً كبيرةً تنقلت فيها بين هذا و ذاك. ٥- لم يمض وقت طويل حتى غضبها الخليفة الأموي «يزيد بن عبد الملك» ثانيةً. ٦- بعد أن ولى الأمويون و استخلفهم العباسيون، أعاد الخليفة العباسي المعروف «أبو العباس السفاح» فدكاً إلى «عبدالله بن الحسن بن علي عليه السلام باعتبارها ممثل بنى فاطمة عليها السلام. ٧- بعدها مباشرة قام «أبو جعفر العباسي» بانتزاعها من «بنى الحسن» (أنهم ثاروا على بنى العباس) ٨- أعاد الخليفة «المهدى العباسي» ابن «أبو جعفر» فدكاً إلى أبناء فاطمة عليها السلام. ٩- قام الخليفة العباسي «موسى الهادي» بغضبها ثانيةً، و ظل الوضع على هذا الحال في زمن هارون الرشيد. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٣ ١٠- ولكي يُظهر علاقته الشديدة بأهل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و أبناء عليّ و فاطمة عليها السلام، قام المأمون برد فدك إلى وُلد فاطمة عليها السلام. لقد ورد في التاريخ أن المأمون كتب إلى و اليه على المدينة «قثم بن جعفر» قائلاً: «إنه كان رسول الله أعطى ابنته فاطمة فدكاً و تصديق عليها بها، و إن ذلك كان أمراً ظاهراً معروفاً عند آلهم السلام ثم لم تزل فاطمة تدعى منه بما هي أولى من صدق عليه، و إنه قد رأى ردها إلى ورثتها و تسليمها إلى «محمّد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن عليّ» ... و «محمّد بن عبدالله بن الحسين» ... ليقوما بها لأهلها». يقول ابن أبي الحديد: «جلس المأمون للمظالم، فأول رقعته وقعت في يده نظر فيها و بكى و قال للذي على رأسه: ناد أين و كيل فاطمة؟ فقام شيخ عليه دراعه و عمامة و خفّ تعزى، فتقدم فجعل يناظره في فدك و المأمون يحتج عليه و المأمور يحتج على المأمون، ثم أمر أن يسجل لهم بها، فكتب السجل و قرىء عليه، فأنفذه، فقام دعبل إلى المأمون فأنشدته الأبيات التي أولها: أَصْبَحَ وَجْهَ الزَّمانِ قَدْ صَحِحَا بِرَدِّ مَأْمُونٍ هَاشِمًا فَدَكًا (١) و قد ذكر مؤلف كتاب «فدك» أن المأمون اعتمد على رواية أبي سعيد الخدرى بإعطاء النبي صلى الله عليه و آله، فدكاً لفاطمة فقام برد فدك على أبنائها. (٢) ١١- أما «المتوكل العباسي» و بسبب الحقد الذي كان يضمه لأهل بيت النبوة عليه السلام، قام بغصب فدك من أبناء فاطمة عليها السلام مجدداً. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٤ ١٢- أصدر ابن المتوكل و هو «المنتصر» أمراً برد فدك إلى الحسن و الحسين عليه السلام ثانيةً. مما لا شك فيه أن تنقل الأرض من يدٍ لأخرى و التلاعب بأمرها في كل يوم من قبل السياسيين الحاقدين سيسبب هلاكها و

خراؤها بسرعة، و هو عين ما حدث لفدك، فسرعان ما خربت عمارتها و تبيست أشجارها و جفت ثمارها! على كل حال فإن هذه الانتقالات التي حصلت إنما تدل على حقيقة محسوسة ملموسة، ألا و هي أن الخلفاء كانوا شديدي الحساسية تجاه فدك، فتصرف و موقف كل منهم إنما هو نابع مما تقتضيه مصلحته السياسية. و كل ذلك تأكيد على ما ذكرناه من أن لغضب فدك بعداً سياسياً أهم من بعده الاقتصادي، فمصلحتهم كانت تقتضى منهم أن يعملوا على إبعاد أهل بيت الرسالة عليه السلام عن المجتمع الإسلامي، و التقليل من شأنهم و مكانتهم، و إظهار العداء لهم تارة، و التقرب و التودد إليهم تارة أخرى عن طريق ردّ فدك إليهم و الذى تكرر لعدة مرات عبر التاريخ. إن أهمية فدك فى أذهان عامة المسلمين محدودة، فما يذكره التاريخ هو أنها لم تنزل فى أيديهم حتى كان فى أيام المتوكل، و كان فيها إحدى عشرة نخلة غرسها رسول الله صلى الله عليه و آله بيده، فكان بنو فاطمة يأخذون ثمرها، فإذا قدم الحجاج أهدوا لهم من ذلك التمر فيصلونهم، فيصير إليهم من ذلك مال جزيل جليل. (١)

٣- فدك و أئمة الهدى عليهم السلام

من المسائل الملفتة للنظر هى عدم تدخل أى من الأئمة «بعد الغصب الأول» فى أمر فدك، ابتداءً من أمير المؤمنين عليه السلام و مروراً بالأئمة من ولده بل إن بعض الخلفاء من أمثال «عمر بن عبدالعزيز» و «المأمون» اقترحوا ردّها على واحدٍ من أئمة أهل البيت عليه السلام، و كان ذلك مدعاةً للحيرة و التساؤل عن سبب موقفهم هذا من فدك؟ لم لم يرجع علىّ الحق إلى أهله عند ما كانت الدولة الإسلامية تحت سيطرته، أو لماذا (على سبيل المثال) لم يعط المأمون فدكاً إلى علىّ بن موسى الرضا عليه السلام خصوصاً و أنه كان يظهر للإمام حبه العميق؟ و لماذا أعطاه لبعض من حفدة زيد بن على بن الحسين عليه السلام باعتباره ممثلاً عن «بنى هاشم»؟ و نقول فى الإجابة على هذا السؤال التاريخي المهم: أما بالنسبة لأمير المؤمنين عليه السلام فإنه أفصح عن رأيه فى أمرها فى قوله المختصر الغزير المعنى و الذى قال فيه: «بلى كانت فى أيدينا فدك من كل ما أظلمت السماء، فشحت عليها نفوس قوم، و سخت عنها نفوس قوم آخرين، و نعم الحكم الله. و ما أصنع بفدك الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٦ و غير فدك، و النفس مظانها فى غدٍ جدت تنقطع فى ظلمته آثارها...» (١) بين أمير المؤمنين عليه السلام بصورة عملية أن مطالبته بفدك لم تكن لكونها منبعاً مصدرراً اقتصادياً يسترزق منه، و أن هو و زوجته طالبا بها يوماً فلأنها سبيل إلى تثبيت مسألة الولاية، و منع خطوط الانحراف من السيطرة على منصب خلافة الرسول صلى الله عليه و آله. الآن و بعد أن مضى ما مضى و بعد أن بقى لفدك جانبها المادى فقط، فما فائدة استردادها؟ و للعالم و المحقق الكبير السيد المرتضى كلام قيم بهذا الشأن حيث يقول: «لما آلت الخلافة إلى علىّ بن أبى طالب كُلم فى رد فدك فقال: إنى لأستحي أن أزد شيئاً منع منه أبوبكر و أمضاه عمر». (٢) إن هذا القول الحكيم يشير فى الحقيقة إلى شهامة و عدم اعتناء الأمير عليه السلام بفدك كونها ثروة مادية و مصدر رزق من ناحية، و من ناحية أخرى فهو يعرف غاصبى الحق الأوائل. أما لماذا لم يسلم الخلفاء الذين أظهروا و دهم لآل بيت النبوة صلى الله عليه و آله فدك إلى الأئمة، و دفعوها إلى أحد أحفاد زيد بن على مثلًا أو أشخاصاً غير معروفين باعتبارهم ممثلين لبنى فاطمة عليها السلام؟ فانه يمكن أن يكون لهذا الأمر سببان: ١- لم يكن أئمة الهدى عليه السلام ليتقبلوا فدكاً، فحينها كان لذلك العمل الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٧ بعداً مادياً يطغى على بعده المعنوى، و ربما كان يحمل على أنه تعلق بثروة دنيوية لا معنوية. بتعبير آخر فإن تسلم الأئمة عليه السلام لها فى تلك الظروف يقلل من شأنهم، إضافةً إلى أن ذلك سيمنعهم من القيام على خلفاء الجور، فكلما أرادوا مجاهدة الحكام انتزعت منهم فدك. (و هذا نفس ما رواه التاريخ من أن الخليفة العباسى «أبو جعفر» انتزع فدك من «بنى الحسن» عندما ثار بعضهم عليه). ٢- من ناحية أخرى كان الخلفاء يفضلون عدم تطور إمكانات الأئمة عليه السلام المادية، فكما هو معروف فى قصة «هارون الرشيد» عند مجيئه للمدينة و احترامه الشديد للإمام «موسى بن جعفر» عليه السلام بشكلٍ أذهل ذلك ابنه المأمون. ولكن عند ما حان وقت الهدايا، أرسل الرشيد هدية متواضعةً للإمام عليه السلام، فتعجب المأمون من ذلك، و عندما سأل أباه عن السبب، قال الرشيد: «أسكت لا أم لك! فإنى لو

أعطيته هذا ما ضمنته له، ما كنت آمنه أن يضرب وجهي غداً بماء ألف سيفٍ من شيعته و مواليه، و فقر هذا و أهل بيته أسلم لي و لكم من بسط أيديهم و إغنائهم.» (١)

٤- محكمة تاريخية

كما مر ذكر سابقاً نقل الرسول صلى الله عليه و آله ملكية فديك إلى فاطمة الزهراء عليها السلام بعد أن نزلت الآية الشريفة و آت ذا القربى حقه.» و لم ينفرد مفسرو الشيعة في نقل هذه الرواية عن الصحابي المعروف «أبو سعيد الخدري» بل و اتفق معهم علماء الجمهور أيضاً و قد أوردنا إسناد هذه الرواية آنفاً. وضعت الحكومة التي استولت على الخلافة بعد الرسول صلى الله عليه و آله يدها على فديك، و أخرجت أبناء فاطمة عليها السلام منها نقل هذا الأمر كل من العالم السني المعروف «ابن حجر» في كتاب «الصواعق المحرقة» و «السمهودي» في «وفاء الوفاء» و «ابن أبي الحديد» في «شرح نهج البلاغة». قامت سيده الاسلام عليها السلام بالمطالبة بحقها عن طريقين: الأول هو كون فديك هدية الرسول صلى الله عليه و آله لها، و الثاني هو أنها ميراثها من أبيها صلى الله عليه و آله (بعد أن رُدَّت دعوى الهدية). استشهدت سيده النساء في المرحلة الأولى بأمر المؤمنين «علي بن أبي طالب» عليه السلام. و «أم أيمن (رض)» عند الخليفة الأول، لكن الخليفة لم يقبل شهادتهما و لم يقر حقها بحجة أن الدعوى لا تثبت إلا بشهادة رجلين أو رجلاً و امرأتين. ثم رفض مسألة «الإرث» مدعياً أن الرسول صلى الله عليه و آله قال: الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٨٩ «إنا معاشر الأنبياء لأنورث ما تركناه صدقة». لكن و من خلال تحقيق شامل يتضح أن النظام الحاكم الغاصب قد ارتكب في عمله هذا عشرة أخطاء فاحشة، سنقوم بعرض مختصر لها و نتوكل الخوص في التفاصيل إلى محل آخر: ١- كانت فاطمة عليها السلام تملك فديك، أى أنها كانت «ذو اليد»، و في رأى القوانين الإسلامية و جميع القوانين المعروفة في الوسط العقلائي العالمي فإن «ذو اليد» لا يحتاج إلى استشهاد أو تصديق على ما يملكه إلا إذا أظهرت شواهد على بطلان ملكيته. فمثلاً إذا ادعى شخص ملكية دار يسكن فيها، فلا يمكن إخراجها من يده ما لم يظهر دليل ينافي إدعائه، كما لا حاجة في أن يشهد أحداً على ديمومة ملكيته، بل إن هذا التصرف (إن أراد إنجازه بنفسه أو يوكله لممثليه) لأفضل دليل على صحة ملكيته. ٢- إن شهادة فاطمة الزهراء عليها السلام لوحدها كانت كافية في هذه المسألة، لأنها معصومة بحكم الآية الشريفة: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا مَالَ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ بِمَا هُوَ حَقٌّ عَلَيْهِمْ وَلِالْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ الْحَقُّ عَلَى الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ» و حديث الكساء المشهور الذي نقلته كتب العامة المعتمدة و كتب الصحاح، فأبعد الله عز و جل القبح و الذنب عن النبي صلى الله عليه و آله و علي و فاطمة و الحسن و الحسين عليه السلام، و طهرهم من كل معصية. فكيف يمكن أن يشك أو يرتاب الآخرون بادعاء مثل هذا الشخص؟ ٣- إن شهادة الإمام على عليه السلام لوحدها كانت كافية أيضاً، فهو يتحلى بمنزلة العصمة أيضاً، و آية التطهير و الروايات التي دل على هذا المعنى و الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٩٠ فيرة، منها الحديث المشهور «الحق مع علي مع الحق، يدور معه حيثما دار» (١) الذي يكفينا دليلاً على عصمته عليه السلام. إذا كيف يدور الحق حول محور وجود علي عليه السلام، لكن شهادته غير مقبولة؟ ٢- تعد شهادة «أم أيمن» هي الأخرى كافية في إثبات الحق، فكما ينقله ابن أبي الحديد: عندما جاءت فاطمة عليها السلام بأم أيمن للشهادة، قالت «أم أيمن» لألى بكر: لا أشهد يا أبا بكر حتى أحتج عليك بما قال رسول الله صلى الله عليه و آله، أنشدك بالله ألت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه و آله قال: «أم أيمن امرأة من أهل الجنة». فقال أبو بكر: بلى إذن فكيف تُردُّ شهادتها بعد أن علموا مقامها و هي من أهل الجنة. (٢) ٥- إضافة إلى كل ما سبق، يكتفى الحاكم بتوفر القرائن المختلفة «لحسية» كانت أم الشبهة بها» ليقوم بالفصل في الدعوى فهل يا ترى أن مسألة «ذو اليد» من ناحية، و شهادة الشهود الذين تكفى شهادة كل منهما في إثبات و إحقاق الحق من ناحية أخرى لا يوفران العلم و اليقين لدى الحاكم؟ ٦- لم يكن حديث ميراث الأنبياء في الواقع كما صاغه و فسره الغاصبون، و إنما كان بشكل و معنى آخرين، فمصادر الحديث تنقل الحديث بالشكل الاتي «إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً و لا درهماً ولكن ورثوا العلم فمن أخذ منه أخذ بحظ وافر». (٣) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٩١ و هنا نستدل

أن الحديث يقصد الإرث المعنوي الذي يورثه الانبياء، ولا علاقة له بالإرث المادي، وهذا هو مصداق الحديث المروي عن الرسول صلى الله عليه وآله في أن: «العلماء ورثة الانبياء». خاصة عبارة «ما تركناه صدقة» فهي حتماً لم تكن موجودة في الحديث مطلقاً، فهل يمكن أن يتحدث الرسول صلى الله عليه وآله بما يخالف صريح القرآن؟ إن القرآن الكريم يشهد في مواضع متعددة على توريث الانبياء أبناءهم، وتشير آياته الشريفة بوضوح إلى أن ميراثهم لم يقتصر على الميراث المعنوي فحسب، بل وشمل الجانب المادي أيضاً. وقد استدلت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام بهذه الايات المباركة في خطبتها المعروفة التي ألقتها في المسجد النبوي الشريف بين جمع من المهاجرين والأنصار، فلم ينكر عليها أحد منهم ما تقول، كل ذلك كان دليلاً على زيف الحديث الذي ادّعه الخليفة. ٧٣- إن صحَّ هذا الحديث، فكيف لم تعرف ولم تسمع به أي من نساء النبي صلى الله عليه وآله، حيث أرسلن إلى الخليفة من يطالب بسهمهنَّ من ميراث الرسول صلى الله عليه وآله. «١» ٨- إن صح هذا الحديث، فلماذا أصدر الخليفة مباشرة حكماً أمر فيه برد فذك إلى فاطمة الزهراء عليها السلام، ذلك الحكم الذي سلبه الخليفة الثاني منها ومزقه. «٢» ٩- إذا كان لهذا الحديث واقعية، و كان لازماً تقسيم فذك على الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٩٢ المستحقين باعتبارها صدقة، فلم استدعى الخليفة الثاني في زمان خلافته علياً عليه السلام والعباس- بعد فوات الأوان- وأبدي استعداده في تسليمهما فذك كما جاء في كتب تأريخ الاسلام المشهورة. «١» ١٠- ورد في كتب «الشيعة» و«السنة» المعترية أن سيده الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام غضبت على الخليفين الأول والثاني بعد أن منعها حقها- فذك-، وقالت لهما «لن أكلمكما بعد اليوم» «٢» و كان الأمر كما قالت إلى أن وافاها الأجل. في حين تنقل المصادر الإسلامية المشهورة عن الرسول صلى الله عليه وآله حديثه المشهور الذي قال فيه: «من أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني، و من أرضى فاطمة فقد أرضاني، و من أسخط فاطمة فقد أسخطني». «٣» فهل من الممكن بعدها أن تمنع فاطمة عليها السلام حقاً تطالب به، و يتمسك بحديثٍ يفتقد إلى الصحة والصدق والرجوع إليه في مقابل نص كتاب الله الذي ينص على توريث الانبياء أبناءهم. على كل حال، لا يوجد أي مسوغ في مسألة غضب فذك، و ليس لذلك الفعل دليل معقول. مالكية الزهراء عليها السلام من ناحية. الشهود العدول المعتبرون من ناحية أخرى شهادة القرآن المجيد من ناحية ثالثة. و من ناحية رابعة نرى الروايات الإسلامية المختلفة كلها أدلة تصدق و الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٩٣ تشهد بأحقية سيده الإسلام في فذك. إضافة إلى كل ذلك فإن آيات المواثيق عموماً تنص على أن لجميع الناس الحق في تركه آباءهم وأمهاتهم والأقربون. لذا لا يمكن التغاضي عن هذا الحكم الإسلامي مادام الدليل لم يقم على نفى تلك العمومات وهذا شاهد آخر.

٥- حدود فذك!

إن فذك- كما ذكرنا آنفاً- هي في الظاهر قرية مخضرة مثمرة قريبة من خيبر، لم تخف حدودها على أحد، لكن الغريب ماورد في جواب الإمام موسى بن جعفر عليه السلام لهارون الرشيد عند ما سأله الأخير قائلاً: «حد فذكاً حتى أردتها إليك» حيث أبي الإمام عليه السلام لكن الرشيد ألحَّ عليه. فقال عليه السلام: لا آخذها إلا بحدودها. قال هارون: و ما حدودها؟ قال عليه السلام: إن حدتها لم تردّها. قال هارون: بحق جدك إلا فعلت؟ قال عليه السلام: أما الحد الأول فعدن، فتغير وجه الرشيد و قال: أيها، قال: و الحد الثاني سمرقند، فارب ووجهه، قال: و الحد الثالث أفريقية فاسودَّ وجهه، و قال: هيه، قال: و الرابع سيف البحر مما يلي الجزر و أرمينية. قال الرشيد: فلم يبق لنا شيء، فتحول إلى مجلسي. قال الإمام عليه السلام: قد أعلمتكم أنني إن حددتها لم تردّها، فعند ذلك عزم على قتله «١»- الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٩٥ فهذا الحديث دلالة واضحة على إرتباط قضية «فذك» بالخلافة، و يبين أن المهم في الأمر كان غضب خلافة رسول الله صلى الله عليه وآله. و إذا أراد هارون أن يعيد فذك فان عليه أن يتخلى عن الخلافة، و هذا ما جعله يلتفت إلى أن الامام موسى بن جعفر عليه السلام إذا شعر بالقوة سيزيله عن الخلافة، و لذلك عزم الرشيد على قتل الامام عليه السلام.

استنتاج

إن قصة «فدك» المؤلمة التي تحكى أحداث قريه صغيره عانت الكثير عبر تاريخ الإسلام، تشير بوضوح إلى المؤامرة الكبيرة التي هدفت إلى إبعاد أهل بيت النبوة عليه السلام عن منصب الخلافة الإسلامية و تجاهل مقام إمامتهم و ولايتهم، مؤامرة شملت مختلف الأبعاد. لقد سعى السياسيون منذ البدء خصوصاً في عصر «بنى أمية» و «بنى العباس» أن يسدلوا الستار على أهل بيت النبوة عليه السلام، و يسلبوهم كل ميزة تؤدي إلى تفوقهم و انتصارهم، بل لم يتوانوا (عند لزوم الأمر) في الاستفادة من عنوان و اسم أهل البيت عليه السلام في تحقيق مآربهم، في حين رفضوا ردّ الحق إلى أصحابه! نعلم جيداً أن حجم الدولة الإسلامية قد إتسع في عصر «بنى أمية» و «بنى العباس» كما زادت ثرواتها و كثرت ذخائر بيت المال بشكلٍ قلّ مثيله في تاريخ العالم إن لم ينعدم، و رغم أن فدك لم تكن لتشكّل رقماً في مقابل كل ذلك، إلا أن الدوافع الشيطانية لم تسمح لهم برد الحق إلى أصحابه، بل والكف عن مواصلة التلاعب بهذه القضية. و في الحقيقة، تعتبر قصة فدك و وثيقة تاريخية إسلامية تثبت مقام آل بيت النبي صلى الله عليه و آله الرفيع من ناحية، و تشير إلى ظلامتهم من ناحية أخرى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ٩٧ و تكشف الغطاء عن المؤامرات التي حاكها الأعداء لهم من ناحية ثالثة. اللهم اجعل محيانا محيا محمد و مماننا محمد و آل محمد - صلى الله عليه و آله و سلم - واحشرنا في زميرتهم و العن أعدائهم أجمعين.

الملحمة الكبيرة

الخطبة التاريخية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام

ساد العالم الإسلامي بعد وفاة الرسول هزة عنيفة، و كان محور هذه العاصفة يدور حول منصب «الخلافة»، ثم انتقل الى كل ما يرتبط بهذا المنصب، منها قرار مصادرة أرض «فدك» التي وهبها الرسول صلى الله عليه و آله لابنته فاطمة عليها السلام استناداً إلى مصالح مهمة، فقد صودرت من قبل النظام الحاكم. «١» لاحظت فاطمة عليها السلام أن هذا التجاوز الواضح و ما رافقه من تجاهل الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٢ للأحكام الإسلامية في هذا الامر سيصرف الأمة الإسلامية إلى انحراف كبير عن تعاليم الإسلام و سنة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله و الاندفاع نحو تقاليد الجاهلية، من ناحية أخرى فإنها مقدمة لفرض إقامة جبرية على علي أمير المؤمنين عليه السلام و محاصرته و أصحابه اقتصادياً، لذا بدأت بالدفاع عن حقها أمام غاصبي «فدك»، و طالبت بكل وجودها بإعادة حقها السليب، لكن النظام الحاكم رفض أداء حقها بحجة باطله و حديث موضوع «نحن معاشر الانبياء لانورث». أقبلت سيدة نساء العالمين مع لمة من نساء بنى هاشم إلى مسجد النبي صلى الله عليه و آله لتعلن عن رأيها و ظلامتها أمام جمهور المسلمين، و سادات المهاجرين و الانصار حتى تتم حجتها، و تكشف حجج هذا الغضب العجيب و المصادرة الظالمة من قبل جهاز النظام، إضافة إلى فضح صفوف المدافعين عن سياسة التجاوز و تمييزهم عن الأئمة الحقيقيين للإسلام. غير مكترثة للضجة المفتعلة بهذا الخصوص و ماستفرزه هذه الفضيحة الكبيرة من نتائج، فقد استمرت في تصميمها، و احتجت على «غصب فدك» من خلال خطبة غراء ألقته أمام المهاجرين في المسجد مزيلة الستار عن كثير من الحقائق. كانت هذه الخطبة بمثابة تحذير مروع لأولئك الذين سعوا إلى حرف الحكومة الإسلامية و خلافة الرسول صلى الله عليه و آله عن مسيرها الحقيقي و تضييع تلك الجهود التي تحملها لأكثر من عقدين. كانت خطبتها «ناقوس الخطر» لأولئك الذين ينبض قلبهم بعشق الاسلام، و يخافون على مستقبل هذا الدين الطاهر. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٣ و «الإنذار العنيف» لأولئك الغافلين عن تغلغل المنافقين و نفوذهم في الجهاز السياسي بعد الرسول صلى الله عليه و آله، و المتجاهلين لأعمالهم المبطنة. «الصرخة الأليمة» في حماية علي أمير المؤمنين عليه السلام و وصي رسول رب العالمين صلى الله عليه و آله، حيث تجاهل بعض السياسيين كل ما ورد فيه من آيات قرآنية و توصيات الرسول صلى الله عليه و آله.

«إحقاق الحق المهضوم» لتوعية كل من غُصِبَ حقه و هو يفضل المسالمة و السكوت على الانتفاضة و التصدى. «الصيحة المؤثرة» التي دوى صداها في كل مكان، و بقيت آثارها على مر العصور و القرون. «الزلزال العميق» الذي أيقظ أوجه المتلاطمه تلك الأرواح النائمة- ولو مؤقتاً- و أظهر لها طريق الحق. و أخيراً فقد كانت «الصاعقة المميتة» التي حلت على رؤوس أعداء الإسلام و أخذتهم بغته، أما عمق التحليلات التي أوردتها الصديقة الطاهرة بشأن أعقد المسائل المرتبطة بالتوحيد و المبدأ و المعاد فانما تكشف عن بعد نظرها وسعة رؤيتها عليه السلام. إن ما تضمنته خطبة ابنه الرسول الكريم صلى الله عليه و آله من تفسير للقضايا العقائدية و السياسية و الاجتماعية لهو دليل واضح و دامغ على أن تلك الصديقة ليست متعلقة بزمان دون آخر. الملاحم الثورية التي جرت على لسان فاطمة عليها السلام في هذه الخطبة، تدل على أنها سيده فداية، مجاهدة، و زعيمة صالحة للمقاتلين في سبيل الله و المجاهدين في سبيل الحق. إن لحن سيده النساء في هذه الخطبة الذي ينفذ إلى أعماق روح الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٤ الإنسان و قلبه يبين حقيقة مهمة و هي أنها محدثة بليغة، و خطيبة مقتدره، كزوجها أمير المؤمنين على عليه السلام، فقد كانت هذه الخطبة الغراء على غرار خطب علي عليه السلام في نهج البلاغة و سارت معها جنباً إلى جنب حتى أظهرت الايام أن ابنتها زينب قد ورثت ذلك من أبيها و أمها معاً، حيث ألفت بخطبها في سوق الكوفة و مجلس يزيد الرعب في نفوس بني أمية المجرمين، و زلزلت أركان دار الامارة و نثرت بذور الثورة في قلوب أهل الكوفة و الشام ضد هذه الحكومة الجائرة. أفرزت خطبة فاطمة الزهراء عليها السلام العديد من الدروس، فما بينته في أدق مسائل الفلسفة و أسرار الأحكام، و تحليل تاريخي سياسي للإسلام، و مقارنة بين العرب في زمن الجاهلية و بين حياتهم بعد ظهور الإسلام تعتبر دروساً عظيمة المعنى يستفيد منها كل من يسير على خطى الحق مجاهداً في سبيل الله. و الأهم من ذلك أن فاطمة عليها السلام أفصحت عن موقف آل بيت النبي صلى الله عليه و آله بالنسبة إلى النظام الحاكم، و برئت ساحه الإسلام المقدسه من الظلم و الجور الذي ارتكب باسم الإسلام، و لو انحصرت فائدة الخطبة في هذا الأمر، لكان كافياً! الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٥

أسانيد و نائق الخطبة

تعد هذه الخطبة واحدة من الخطب المشهورة التي نقلها كبار علماء الشيعة و السنة بسلسلة كبيرة من الاسانيد المعتبرة، خلافاً لما يتصوره البعض من أنها ضعيفة أو حتى عديمة السند. و من بين المصادر التي أوردت هذه الخطبة هي: ١- أورد عالم أهل السنة المشهور ابن أبي الحديد المعتزلي في توضيح رساله «عثمان بن حنيف» في الفصل الأول من «شرح نهج البلاغة» و ثانياً مختلفاً عن خطبة سيده الإسلام فاطمة عليها السلام، و يصرح قائلاً بأن الاسانيد التي أوردتها لهذه الخطبة ليست مأخوذة من أي من كتب الشيعة. ثم يشير إلى كتاب «السقيفة» ل «أبو بكر أحمد بن عبد العزيز الجوهري» الذي يعد واحداً من كبار محدثي أهل السنة بأنه نقل هذه الخطبة في كتابه من عدة طرق- و أورد ابن أبي الحديد جميع تلك الطرق في شرح نهج البلاغة، و لغرض الاختصار فقد صرفنا النظر عن ذكرها- بعدها يضيف، عندما عازمت الحكومة على غضب «فدك» أقبلت الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٦ فاطمة عليها السلام إلى المسجد ما تخرم مشيتها مشية رسول الله، و هناك ألفت خطبتها الغراء. ثم ينقل ابن أبي الحديد تلك الخطبة المشهورة و المعروفة و ان كان هنالك إختلاف طفيف في عبارات هذه الخطبة في بعض النقول. ٢- أورد «علي بن عيسى الأربلي» هذه الخطبة في كتاب «كشف الغمّة» نقلًا عن كتاب «السقيفة» لأبي بكر أحمد بن عبد العزيز. ٣- أشار «المسعودي» في «مروج الذهب» إلى الخطبة بشكل إجمالي. ٤- «السيد المرتضى العالم و المجاهد الشيعي الكبير أورد هذه الخطبة في كتابه «الشافى» نقلًا عن عائشة زوجة رسول الله صلى الله عليه و آله. ٥- ذكر المحدث المعروف «المرحوم الصدوق» مقتطفات منها في كتاب «علل الشرائع». ٦- روى الفقيه المحدث المرحوم الشيخ «المفيد» قسماً من هذه الخطبة. ٧- أورد «السيد بن طاووس» قسماً منها في كتاب «الطرائف» نقلًا عن كتاب «المناقب» ل «أحمد بن موسى ابن مردويه الأصفهاني» و هو من مشاهير أهل السنة الذي نقلها بدوره عن عائشة. ٨- و

أوردها المرحوم «الطبرسي» صاحب كتاب «الاحتجاج» بصورة مرسله «١» على كل حال فإن هذه الخطبة التاريخية هي واحدة من خطب أهل البيت عليه السلام المعروفة، و طبقاً لما نقل فإن كثيراً من الشيعة المخلصين الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٧ أوصوا أبناءهم بحفظ هذه الخطبة، حتى لا يستقر عليها غبار النسيان بمرور الزمن، و لا تكون محطاً للتجاهل و التصغير من قبل الأعداء المغرضين. و الأولى أن يحفظها اليوم جيل الشباب الشجاع و ينقلها لأجيال الغد. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٨

المحاور السبعة لخطبة فاطمة الزهراء عليها السلام

تتضمن هذه الخطبة الغراء التي قلّ نظيرها سبعة محاور، و تدور حول سبعة مباحث ينشد كل منها هدف واضح، و يجب دراسة كلٍّ منها بصورة مستقلة. المحور الأول: تحليل عميق و مختصر لمسائل التوحيد و صفات الخالق و أسمائه الحسنی و هدف الخلق. المحور الثاني: التذكير بمنزلة الرسول صلى الله عليه و آله السامية و صفاته و مسؤولياته و أهدافه. المحور الثالث: التحدث عن أهمية القرآن المجيد و عمق تعاليم الإسلام، و فلسفة الأحكام و أسرارها، و الارشادات و النصائح في هذا المجال. المحور الرابع: من خلال تعريف نفسها، تقوم سيدة النساء عليها السلام بالإفصاح عن خدمات أبيها رسول الله صلى الله عليه و آله لهذه الأمة، و هنا تذكّرهم فاطمة الزهراء عليها السلام بعصر الجاهلية القريب ليكون لهم عبرة، و من ثم مقارنته مع وضعهم بعد الإسلام، و اتخاذ درسٍ من هذا الاختلاف و التغيير. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٠٩ المحور الخامس: تفصح عن الأحداث التي تلت وفاة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله، و سعى حزب المنافقين لمحو الإسلام. المحور السادس: تتحدث عن الحجج الواهية التي اتخذوها ذريعةً في غضب «فدك»، و من ثم تنفيذ تلك الحجج. المحور السابع: و من أجل أن تُتِمَّ حجتها تقوم سيدة النساء عليها السلام باستنصار الأنصار و أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله المخلصين، و تنهى خطبتها بشارتهم بالعذاب الإلهي. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٠ المحور الأول

توحيد الله و صفاته و هدف التكوين

النص: الحمد لله على ما أنعم و له الشكر على ما ألهم و الثناء بما قدم، من عموم نعم ابتدأها، و سبوغ آلاء أسداها، و تمام مننٍ والها! جمّ عن الإحصاء عددها، و نأى عن الجزاء أمدها، و تفاوت عن الإدراك أبدها، و ندبهم لاستزادتها بالشكر لاتصالها و استحمد إلى الخلائق بأجزالها، و ثنى بالندب إلى أمثالها. و أشهد أن لا إله إلا الله، و حده لا شريك له، كلمة جعل الإخلاص تأويلها و ضمن القلوب موصولها، و أنار في الفكر معقولها. الممتنع من الأبصار رؤيته، و من اللسان صفته، و من الأوهام كلفيته. إبتدع الأشياء لا من شيء كان قبلها، و أنشأها بلا احتذاء أمثلةً امتثلها. كونها بقدرته و ذراها بمشيئته من غير حاجهٍ منه إلى تكوينها، و لا فائدة له في تصويرها إلما تهيئةً لحكمته، و تنبيهاً على طاعته، و إظهاراً لقدرته، و تعبداً لبريته و إعزازاً لدعوته ثم جعل الثواب على طاعته و وضع العقاب على معصيته، زيادةً لعباده عن نعمته و حياشئ لهم إلى جنته. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١١ المناقشة: في القسم الأول للخطبة عدداً من المسائل المهمة الجديدة بالبحث: ١- الالتفات إلى الحقيقة التي نعيشها، و هي أن نعم الله جل و علا قد أحاطت بكل وجودنا حتى غرقنا فيها، و هذا الأمر يحيي فينا حسّ الشكر و الثناء بل و يجرنا إلى معرفة ذاته الطاهرة. و هذا ما يعتمد عليه علماء علم الكلام- العقائد- تحت عنوان «وجوب شكر المنعم» في مسألة وجوب معرفة الله سبحانه و تعالى ٢- إذا كان الله سبحانه و تعالى قد دعى عباده إلى شكر نعمه، فليس ذلك من باب الحاجة له، بل ليكتسب العباد من خلاله- الشكر- لياقةً أكبر و درجةً أعلى و بالتالي تشملهم نعماً أوفر. ٣- إن العباد عاجزون عن أداء حق الشكر لله، لأن التوفيق للشكر هو نعمه بحد ذاته، كما أن آلات الشكر من- فكرٍ و يدٍ لسان- هي أيضاً من نعم الله، لذا ليس لهم إلا الاعتراف بالعجز. «و كيف أودى حق شكرك و شكرك

يحتاج إلى شكر». ٤- الإخلاص هو روح التوحيد، تطهير الروح من دنس الشرك بالله، و منح القلب كرهينهُ لجهه، و الخضوع و الخنوع لأمره و خلاصه القول تجاهل و نبذ كل ما لا يُرضى الله و نسيان كل شيء سواه! ٥- في الواقع أن التوحيد قد أودع فطرة الإنسان منذ البدء و يشع هذا النور الإلهي في أعماق كل إنسان، و كل واحد منهم يسمع من باطنه نداء «الله أكبر»، و لهذا فعند ما يتضاعف البلاء و تتمزق أستار الغفلة يظهر هذا الإشعاع بوضوح أكثر من أي وقتٍ آخر، و ينجذب الجميع لا إرادياً نحو أنفسهم مرددين «لا- إله إلا هو». الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٢ ٦- لا- يمكن درك كنه ذاته حتى بالتفكير العميق، حيث: «كلما ميّز تُمُوهُ بأَوْهامِكُمْ في أدقِّ معانيه مخلوقٌ مصنوعٌ مثلُكم مردودٌ إليكم» ١ كما لا يمكن معرفه كنه صفاته، لذا يجب أن نعترف جميعاً بأن: «وَمَا عَرَفْنَاكَ حَقَّ مَعْرِفَتِكَ» ٢ «مَا عَيَّدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ». ٣ ٧- تعد مسألة الخلق و التكوين البدائي واحدهً من المسائل المهمة، فلم تكن هناك مادةً مصنوعةً من قبل حتى يخلق الله منها هذا العالم، بل أن الخلق و التكوين قد تم من العدم، و قد اختصت هذه الخلقه بذاته الطاهرة حتى صعب على البعض تصور ذلك. ٨- المسألة المهمة الأخرى في أمر الخلق و التكوين هي أن المصورين يعتمدون دائماً في تصويرهم و رسوماتهم على ما يستلهمونه من الطبيعة، و أحياناً يقومون بخلط أشكالٍ مختلفةٍ لئيدعوا في صنع شكلٍ جديد، أما الله سبحانه و تعالى فهو المبدع الذي صوّر العالم و جسّمه دون تحضيرٍ مسبقٍ أو تمثيلٍ قبلي. ٩- البحث المهم الآخر في هذا المحور من الخطبة التاريخية لسيدة النساء عليها السلام هو الغنى المطلق لله عن كل شيء. من البديهي أن الوجود اللامتناهي من جميع النواحي للذات المقدسة يجعلها غنيّةً مطلقهً عن كل نوعٍ من أنواع الحاجة. لأن «الحاجة» تدل على «النقص» و النقص ينحصر في الموجودات التي يمكن تصوّرها، الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٣ لا في ذات الحق الغير متناهية. ١٠- و أخيراً فإن المسألة المهمة الأخرى التي طُرحت في هذا المحور هي «هدف الخلق»، حيث تلخص سيدة الإسلام ذلك في جُملي قصيرٍ عظيمٍ المعنى أ- تبيين و توضيح الحكمة الإلهية اللامتناهيّة. ب- دعوة العباد إلى طاعته. ج- الإشارة إلى قدرته المطلقة. د- دعوة العباد إلى عبوديته. ه- منح أنبيائه القوة. هذه هي الأهداف التي بينتها فاطمة الزهراء عليها السلام في مسألة الخلق، و المُلّفت للنظر أن هذه الأهداف ملازمةٌ لبعضها البعض، فعند ما يرى العبد آثار حكمة الخالق و قدرته في عالم الوجود الواسع ينقاد إلى طاعته، و يتوجه إلى عبوديته و ينعقد بمدارج كماله. و من ناحيةٍ أخرى يكون للأنبياء نفوذ أكثر و أعظم في قلوب الناس عند ما يكون حديثهم مرتكزاً على نظام خلق عالم الوجود، فسهل عليهم مسألة الهداية. و عليه فلم يخلق الله الكون حتى يستفيد، بل إن الهدف هو أن يوجد على العباد، فإرادته في أن ينتهجوا سبيل الهداية، فدعاهم إلى قربهِ، و ليسيروا على نهجه فيستحقوا المزيد من كرمه و لطفه. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٤ المحور الثاني

منزلة الرسول الكريم صلى الله عليه و آله السامية، خصائصه و أهدافه

النص: و أشهد أن أبى محمداً عبده و رسوله، إختاره و انتجبه قبل أن أرسله، و سمّاه قبل أن اجتبله، و اصطفاه قبل أن ابتعثه، إذ الخلائق بالغيب مكنونه و بستر الأهاويل مصونة، و بنهاية العدم مقرونة. علماً من الله تعالى بمائل (بمآل) الأمور، و إحاطة بحوادث الدهور، و معرفة بمواقع المقدور. ابتعثه الله إتماماً لأمره و عزيمةً على إمضاء حكمه و إنفاذاً لمقادير حتمه. فرأى الأعمم فرقاً في أديانها، عكفاً على نيرانها، (و) عابدةً لأوثانها، مُنكرةً لله مع عرفانها. فأثار الله بمحمدٍ صلى الله عليه و آله ظلمها، و كشف عن القلوب بهمها و جلى عن الأبصار غممها. و قام في الناس بالهداية و أنقذهم من الغواية و بصّرهم من العمياء. و هداهم إلى الدين القويم و دعاهم إلى الطريق المستقيم، ثم قبضه الله الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٥ إليه قبض رافه و اختيار و رغبة و إيتار، فمحمداً صلى الله عليه و آله عن (من) تعب هذه الدار في راحة، قد حُف بالملائكة الأبرار، و رضوان الرب الغفار، و مجاورة الملك الجبار. صلى الله على أبى نبيه و أمينه على الوحي و صفيه و خيرته من الخلق و رضيه و السلام عليه و رحمة الله و بركاته. التفسير: تشير مولانا فاطمة الزهراء عليها السلام في هذا المحور من خطبتها إلى جزء من المسائل المهمة المتعلقة بشخص رسول الله صلى الله

عليه وآله، منها: ١- تتحدث عبارتها الأولى عن جوهر ذات الرسول صلى الله عليه وآله المقدسة الشيء الذي أشير إليه في سائر الأحاديث الإسلامية أيضاً و هنا يبرز بحث مهمّ و هو، هل تختلف النشأة التكوينية للرسول صلى الله عليه وآله كلياً عن الآخرين؟ و إذا كان كذلك فإن عصمته تكون جزءاً من مستلزمات تلك الذات، و ليس في هذا من فضل. و إذا كان جوهره لا يختلف عن الآخرين، إذاً فما الهدف الذي تبغيه مولاتنا من وراء هذه التعابير؟ الحقيقة هي أن ميزات و مواهب الأنبياء و الأئمة تنقسم إلى قسمين، فبعضها ذاتية و بعضها الأخرى مكتسبة، و بالتدقيق في هذا التركيب الخاص فقد أُجيب على كثير من التساؤلات. و بتعبير آخر، فإن الرب الحكيم الذي حمّل نبيه أعباء تلك المهمة العظيمة منحه استعدادات ذاتية: فقد أعطاه جوهرًا ممتازًا، ذكاءً متوقداً، إرادةً حديديةً، عزماً راسخاً، و علماً و فيراً و تشخيصاً صائباً، و إلا فلن الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٦ يتمكن شخصٌ ضعيفٌ من القيام بهذه الرسالة الكبيرة و سينتفى غرضها. و هذا الأمر لا يتّصف إلا بالعدالة، ففوق عضلات الساعد تفوق بكثير قوة عضلات جفن العين، لأن وظيفة الأخيرة رفع و خفض جفن العين، في حين وظيفة الأخرى رفع الأحمال العظيمة و إنجاز الأعمال الثقيلة، و خلاف ذلك هو خلافٌ للعدالة. و مع هذا فإن الجوهر الذاتي للرسول صلى الله عليه وآله لم يسلب منه الإرادة و الاختيار، فهو أيضاً له القدرة على المعصية «و العياذ بالله»، علماً أنه لا يرتكب المعصية. لا تتعجب، فالكثير من الناس العاديين يتمتعون بنفس هذه الحالة بالنسبة لبعض المعاصي، فمثلاً يستطيع كل امرئ أن يظهر عارياً كما ولدته أمه أمام جمع من الناس، أو أن له القدرة على النوم عارياً في ثلوج ليلة شتاءٍ قارصة، ولكن في نفس الوقت لا تصدر هذه الأفعال إلا من المجانين. يتمتع الأنبياء و الأئمة المعصومون بنفس هذه الحالة بالنسبة لجميع المعاصي. و هذا يُلَفَت النظر إلى المسؤولية الكبيرة التي يتحملها المعصومون تجاه جوهرهم الطاهر، فلا يُقبل منهم أبداً ترك العمل بالأولى و تعبیر فاطمة عليها السلام الذي تقول فيه «علماً من الله تعالى بمائل الأمور و إحاطة بحوادث الدهور» إنما يُشير إلى تلك النقطة، و هي أن الله يعلم بثقل الرسالة التي ستلقى على عاتق النبي صلى الله عليه وآله لذا جعل جوهره بهذا المستوى الممتاز. ٢- جاء الرسول صلى الله عليه وآله لإتمام الأوامر الإلهية، و تنفيذ أوامره التكوينية. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٧ تشير هذه العبارة إلى مسألة ختم النبوة بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله، و هي أيضاً إشارة إلى مسألة إتمام المواهب التكوينية عن طريق التشريع و الأحكام الإلهية. ٣- تعرّج ابنه رسول الله صلى الله عليه وآله في هذا المقطع من حديثها على الوضع المأساوي للأمم قبل بعث الرسول صلى الله عليه وآله و كيفية ابتلائهم بظلمة الخرافات، المجوس في تعظيمهم للنار، و العرب في عبادتهم للأصنام، و سائر الملل في ابتلائها بنوع من الانحراف و التفرقة. و ما أعظم قولها «مُنْكَرَةٌ لَّه مع عرفانه» الذي تشير فيه إلى مسألة «التوحيد الفطري» المكنون في كل البشر. ٤- تشير عليها السلام في قسم آخر من بيانها الرائع إلى بركات وجود النبي «ص» و آثار قيامه، و كيف أبعد عن أفق أفكارهم سحب الأوهام السوداء المظلمة، و أزال عن قلوبهم صدأ الجهل و الخرافات، و مَرَّق الغشاوة التي حجبت أبصارهم عن مشاهدة الحق، و دعاهم إلى «الصراف المستقيم» و الحد الأوسط الذي يفصل بين الإفراط و التفريط. و من أجل فهم و درك عمق هذا الحديث، يجب إجراء مقارنةٍ دقيقةٍ بين وضع الناس في عصر الجاهلية و وضعهم بعد ظهور الإسلام، حتى يتّضح الواقع الذي بينته سيده الإسلام عليه السلام في خطبتها. ٥- من المسائل التي يجدر الإشارة إليها في هذا المقطع من خطبة سيده النساء عليها السلام التاريخية هي الموت الكريم - أو العزيز - للرسول صلى الله عليه وآله: ذلك الذي كبلت روحه المتألقة بقيود الجسد في هذه الدنيا الفانية، و بعد أن أدى رسالته، و أتمّ المسؤولية، كسّر تلك القيود محلّقاً نحو الحبيب، مرفراً في فئائه، آخذاً مكانه بين ملائكة السماء المقرّبين! الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٨ المحور الثالث

كتاب الله و فلسفة الأحكام

النص: ثم التفتت عليه السلام إلى أهل المجلس و قالت: أنتم عباد الله نُصِبَ أمره و نهيه، و حملته دينه و وحيه، و أمناء الله على أنفسكم، و بلغاؤه إلى الامم. و زعيم حقّ له فيكم، و عهدٌ قدّمه إليكم. و بقیة استخلفها عليكم كتاب الله الناطق، و القرآن الصادق، و

النور الساطع، و الضياء اللامع، بيّنه بصائره، منكشفة سرائره، متجليه ظواهره، مغتبط به أشياعه، قائد إلى الرضوان أتباعه، مؤد إلى النجاة استماعه، به تُنال حجج الله المنورة، و عزائمه المفسرة، و محارمه المحذرة، و بيّناته الجالية و براهينه الكافية، و فضائله المندوبة و رخصه الموهوبة و شرايعه (شرائعه) المكتوبة. فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك، و الصلاة تنزيهاً لكم عن الكبر، و الزكاة تزكيةً للنفس، و نماءً في الرزق، و الصيام تثبيتاً للإخلاص، و الحج تشييداً للدين، و العدل تنسيقاً للقلوب، و طاعتنا نظاماً للملّة، و إمامتنا أماناً من الفرقة (للفرقة)، و الجهاد عزاً للإسلام، و الصبر معونة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١١٩ على استيجاب الأجر، و الأمر بالمعروف مصلحةً للعامّة، و يرّ الوالدين وقايةً من السخط، و صلة الأرحام مُنمأةً للعدد، و القصاص حقناً للدماء و الوفاء بالندر تعريضاً للمغفرة و توفيةً المكاييل و الموازين تغييراً للبخس، و النهي عن شرب الخمر تنزيهاً عن الرجس، و اجتناب القذف حجاجاً عن اللعنة و ترك السرقة إيجاباً للعفّة و حرّم الله «١» الشرك إخلصاً له بالرّبوبيّة. ف «اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ» «٢» و أطيعوا الله فيما أمركم به و نهاكم عنه، فإنه «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» «٣» التفسير: تُشير سيده الإسلام عليه السلام في هذا القسم من الخطبة إلى أمورٍ مهمّة أيضاً، منها: ١- تعد مسؤوليّة المسلمين في إبلاغ الرسالة و نشر الإسلام في العالم، و الدفاع عن قوانين و تعاليم و قيم الدين الحنيف من المسؤوليات الخطيرة التي لو تقاعس المسلمون عن أدائها كان حقاً عليهم أن ينتظروا العقاب و الجزاء الإلهي، و أن يطرّدوا من ساحه رحمته الواسعة. ٢- نهت إلى عظمة القرآن على أنه كتاب ناطق و نور جلي و ضوء مشع، حارب و بشدة ظلمات الجهل و التعصب و الخرافات. ذلك الكتاب الذي ظاهره الجمال و النور، و باطنه العبرة و المعنى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٠ الغزير، و أدلته مقنعةً منجيةً. ذلك القائد الذي يضمن لتابعيه النجاة، حيث دعاهم إلى جنه أزيه. فهو قائد النجاة الذي بيّن بمنطقه الفصيح أدله التوحيد، و ثبت مبادئ العقيدة براهينه النيرة، و أفصح عن البرامج العمليّة التي يحتاجها المرء في طريق تكامل الإنسانية، فشخص «المباح» من «المحظور»، «الجيد» من «الردى» و «الحق» من «الباطل». ٣- أبدعت في تبيان فلسفة الأحكام من خلال عباراتٍ قصيرة، فبدأت بالإيمان حتى الوفاء بالندر، و من التوحيد حتى ترك البخس في الميزان، فوصفت كلّاً منها بجملته و مقوله. فما أحلى تعبيرها «فجعل الله الإيمان تطهيراً لكم من الشرك». يتضح من هذا التعبير أنّ حقيقة معرفة الله و توحيد مكنونه في فطرة الإنسان، لهذا جاء الإسلام ليظهره من الملوثات العرضية التي تنتج عن طريق الشرك، كما تغسل الثياب البيض بعد اتساخها ليظهر لونها الأصلي. شرع الله «الصلاة» ليوطن بها روح التواضع في الناس، و يسحب المتكبرين من منصة الغرور، عن طريق الركوع و السجود، و الدعاء في حضرة الخالق. «الزكاة» تكون سبباً في تحرير روح الإنسان من أسر الدنيا و تعلقه بزخرفها و أموالها، و تنمية ثروات الأمة من خلال تعزيز البنية الماليّة للمحرومين. «الصيام» يجعل الإنسان مسيطراً على هوى نفسه، و يثبت فيه روح الإخلاص، و يضمن على أغصان وجوده براعم و زهور التقوى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢١ «الحجّ» ذلك التجمع الإسلامي العظيم الذي تثبت فيه أسس الإسلام، و تعزز فيه قدرات المسلمين في شتى المجالات الفكرية و العلمية و العسكرية و السياسية. «العدالة الاجتماعية» تغسل الأحقاد من القلوب، و تزيل الاضطرابات و تفر التنظيم و عن طريق قبول قيادة الهداة المعصومين، يمنح الله المسلمين نظاماً اجتماعياً سالمًا منتهجاً خط التوحيد، و يبعد عنهم النفاق و التفرقة. كذلك في مسائل الجهاد و الصبر و الاستقامة و الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر و ما يتعلق بمسائل القصاص و الالتزام بالتعهدات، و محاربة من يبخس الميزان و طهارة الحجور من الفجور و ترك شرب الخمر، فقد أشارت سيدتنا إلى كل ذلك مبينة آثار و علاج كلّ منها. ٥- تعود سيده الإسلام عليها السلام مرةً أخرى إلى مسألة مسؤوليّة المسلمين تجاه القرآن المجيد و الإسلام، و تدعوهم إلى التقوى مذكرةً إياهم بعواقب الأمور، حيث تصرّ عليهم بمراقبة أعمالهم حتى يودعوا دار الفناء و هم مسلمون!. كونوا على حذر و إعملوا ما يجعلكم تموتوا مسلمين! نوروا أرواحكم و قلوبكم بنور العلم و المعرفة، لأن العلماء فقط يشعرون بالمسؤولية و يخافون الله سائرين على خطّ التقوى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٢ المحور الرابع

النص: ثم قالت أيها الناس إعلموا أنني فاطمة، و أبي محمد صلى الله عليه و آله أقول عوداً و بدأً و لا أقول غلطاً، و لا أفعل ما أفعل شططاً. لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» (١). فإن تعزوه و تعرفوه تجدوه أبي دون نساءكم، و أخا ابن عمي دون رجالكم، و لنعم المعزى إليه صلى الله عليه و آله. فبلغ بالرسالة صادعاً بالندارة، مائلاً عن مدرجة المشركين ضارباً ثجبهم، آخذاً بأكظامهم داعياً إلى سبيل ربّه بالحكمة و الموعةظة الحسنه، يكسر الأصنام و ينكت الهام، حتى انهزم الجمع و ولوا الدبر، حتى تفرى الليل عن صبحه، و أسفر الحق عن محضه، و نطق زعيم الدين، و خرست شقاشق الشياطين، و طاح و شيط النفاق، و انحلت عقد الكفر و الشقاق و فهتف بكلمة الإخلاص في نفر من البيض الخماص. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٣ و كنتم على شفا حفرة من النار، مذقة الشارب و نهزة الطامع، و قبسة العجلان، و موطىء الأقدام. تشربون الطرق، و تققاتون الورق، أدلة خاسئين، تخافون أن يتخطفكم الناس من حولكم. فأنقذكم الله تبارك و تعالی بمحمد صلى الله عليه و آله بعد اللتيا و التي، بعد أن منى بهم الرجال، و ذوبان العرب و مردة أهل الكتاب كلما أو قدوا ناراً للحرب أطفأها الله، أو نجم قرن للشيطان، أو فغرت فاغرة من المشركين قذف أخاه في لهواتها، فلا ينكفأ حتى يطأ صماخها بأخمصه، و يخمد لهبها بسيفه، مكدوداً في ذات الله، مجتهداً في أمر الله، قريبا من رسول الله، مشمرا ناصحاً، مجدا كادحا و أنتم في رفاهيته من العيش، و ادعون فاكهون، آمنون تتربصون بنا الدوائر، و تتكفون الأخبار، و تنكصون عند النزال، و تفرون عند القتال. التفسير: تضمن هذا القسم أيضاً حقائق كبيرة:

١- بضعة النبي تقوم بكشف هويتها للحاضرين قبل كل شيء، و تفرغ ما بأيديهم من حجج و أعدار، حتى لا يدعى أحد ياني لم أعرف بنت النبي صلى الله عليه و آله، و إلا سارعت لنصرتها. تركز بشكل خاص على نسبتها للنبي صلى الله عليه و آله، و تتكلم عن ارتباطها بعلي عليه السلام، ثم تؤكد على أن ما أنطق به هو عين الحقيقة، لا أتحدث جزافاً، و لا ينطق لساني بغير حساب ولو بكلمة، فاستمعوا جيداً لما أقول، و عوا مسؤوليتكم العظيمة تجاه هذه الحادثة! الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٤ ٢- الألم العميق بعدها تذكر بعلاقة رسول الله صلى الله عليه و آله بهم و كيف كان يتألم لآلامهم و أنه كان شريكاً لهم في غومهم، مستندة على الصفات الخمسة التي وصف القرآن المجيد نبيه بها في إحدى آياته الشريفة: «لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ» (١) تلك الصفات التي شاهدها و عرفها الأصحاب في رسول الله صلى الله عليه و آله. ٣- الجهود الشاقفة للنبي صلى الله عليه و آله ثم تذكر بالمعاناة الجسمية التي مرت بالرسول صلى الله عليه و آله و كيف أنه قام منفرداً بإبلاغ رسالته ربه العظيمة، دون أن يجد الانحراف سبيلاً إلى نفسه، مرغ أنوف المتعنتين بالتراب، و حطم أدمغة المتكبرين، و كان سلاحه المنطق و الدليل و الموعةظة و الحكمة لمن طلب الحق و استقصى عنه، إلى أن كسر شوكة المشركين، و دمر معابد الأصنام، و تفرق أعداء الله، فانزالت الظلمات و شغ النور، و فرت الخفافيش، و تمكن جمع من الناس أن يرددوا نعمة التوحيد «لا إله إلا الله» علناً في ديار الكفر. ٤- الماضي المشين تقوم فاطمة الزهراء عليها السلام بتذكيرهم بذلك اليوم الذي كانوا فيه مجموعة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٥ مؤمنة صغيرة تتصارع في وسط طوفان صعب و موحش، فمن ناحية تداعب و سوسات مراحل الشرك و عبادة الأصنام مخيلاً تكلم أحياناً، و تجرهم إلى شفا جرف نار جهنم، و من ناحية أخرى فإن أعدائكم الأقوياء الظالمين قد أحاطوكم من كل جانب، يتربصون بكم الدوائر ليسحقوكم بأيديهم و أرجلهم بطرفه عين، و كنتم تحت حصار رهيب، ليس لكم إلا الماء الآسن و الغذاء الرديء، تخافون مصيركم المجهول. لكن، شاء الله أن يكسر أسنان هؤلاء الذئاب المصاصين للدماء، و يضرب رؤوس هذه الأفاعي بالحجر، و يسلط هذه الفئة القليلة المستضعفة عليها، و هو على ما يشاء قدير فعال لما يريد. لم يمض وقت حتى خمدت نيران الفتنة، و سكنت الأعاصير، و فرت العفاريت، و اختفى اللصوص و قطاع الطرق الذين كانوا يستفيدون من ظلمات ليالي الجاهلية بعد أن أشرق العالم بنور شمس الإسلام. نعم، ذكرت فاطمة عليها السلام الحاضرين بتلك اللحظات الحساسة التي أثقلت كاهل المؤمنين و جعلت يومهم كقرن من الزمان، حتى لا- يتناسوا نعم الله الجزيلة، و لا- ينكروا المواهب الإلهية، و يسعون في

استمرارية وديمومة هذا الخط الإلهي والرسالي العظيم ولا يستسلموا لما يروجه ويحيكه الأعداء. ٥- خدمات علي عليه السلام: تذكر ابنة النبي صلى الله عليه وآله في وسط حديثها بما قدمه أمير المؤمنين علي عليه السلام من خدمات لهذه الأمة، وكيف أن النبي صلى الله عليه وآله كان يرسله لمواجهة الحوادث الخطرة والتصدي لها، وهو يقوم لها مؤثراً بنفسه، مضحياً والزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٦ فدائياً، فينقض على الفتن فيخمدنها ويعود منتصراً، أهوى برؤوس المتكبرين إلى الأرض بسيفه، ومرغ هامات الطواغيت بالتراب، وكان ناصراً ومساعداً للرسول صلى الله عليه وآله وحامياً ومدافعاً في كل مكان. نعم فمثل هذا الفرد العظيم يستطيع أن يُدِيمَ خَطَّ هذه الثورة الكبيرة ويمنع عنه الانحراف. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٧ المحور الخامس

الردة بعد النبي صلى الله عليه وآله

النص: فلما اختار الله لنبيه صلى الله عليه وآله دار أنبيائه ومأوى أصفيناه ظهر فيكم حسيكته النفاق، وسمل جلباب الدين، ونطق كاظم الغاوين ونبغ خامل الأقلين وهدر فنيق المبطلين، فخطر في عرصاتكم، وأطلع الشيطان رأسه من مغرزه، هاتفاً بكم، فألفاكم لدعوته مستجيبين، وللغرة فيه ملاحظين، ثم استنهضكم فوجدكم خفافاً وأحمشكم فألفاكم غضاباً، فوسمتم غير إبلكم، وأوردتم غير شربكم، وهذا والعهد قريب، والكلم رحيب، والجرح لما يندمل، والرسول لما يقبر، ابتداراً زعمتم خوف الفتنة، «ألا في الفتنة سيقطوا وإن جهنم لحيطة بالكافرين» (١) فهيئات منكم؟ وكيف بكم؟ وأنى توفكون؟ وكتاب الله بين أظهركم أموره زاهرة [ظاهرة] وأعلامه باهرة، وزواجره لا يحته، وأوامره واضحة، قد خلفتموه وراء ظهوركم أرغباً عنه تريدون؟ أم بغيره تحكمون؟ بنس للظالمين بدلا. «ومن يتبع غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين» (٢) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٨ التفسير: ١- التآمر والانحراف تشير سيده الإسلام عليها السلام في هذا القسم من خطبتها إلى بقايا أحزاب الجاهلية والمنافقين الذين ضيق الخناق عليهم في زمن رسول الله صلى الله عليه وآله فأخفوا رؤوسهم في جحورها، واختبأوا في أو كارهم. وفجأة خرجت حشرات الأرض هذه من جحورها بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله، وظهرت الخفافيش التي توارت عن الأنظار بسبب هيبة وجود النبي صلى الله عليه وآله وأصبحت تعبث في الميدان!، وبدأت التحركات المشكوكه وعادت خطوط الانحراف تظهر من جديد ودخل المتلاعبون بالسياسة ساحة المعركة! ٢- تلبية البعض لدعوة الشيطان! من هنا تبدأ حسرة بنت النبي صلى الله عليه وآله العميقة بسبب تلبية جمع غفير لدعوة الشيطان، سائرين خلف أصوات البوم المشؤومة، فأصبحوا آله بيد حزب الشيطان والمنافقين الذين عميت قلوبهم، ورغم أن كفن الرسول صلى الله عليه وآله لم يزل مبتلاً ولم يزل صوت آذان مؤذنه يدوي في المسجد وصرخه تكبيره ترن في القلوب حتى ظهرت حركات الردة. باستثناء البسطاء ومريضى القلوب لأن مجموعته قد اتخذت من التقيّة حجة لسكوتهم خوفاً من أن الكلام يوقع الفرقة والاختلاف بين الجمع، و صاروا متفرجين لهذا المشهد أو موافقين لأحداثه، حتى لا يبرز اختلاف في حين أن موقفهم هذا هو السبب في ذلك الانشقاق والانحراف الكبيرين! الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٢٩ ٣- الاعتصام بالقرآن ثم يصرخ المنادى الإلهي المتمثل بفاطمة الزهراء عليها السلام بهم منبهة: أين أنتم؟ وإلى أين تولون أيها الضالون؟ فأنها تذكرهم بحديث أبيها صلى الله عليه وآله: «إذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة ومن تركه ساقه إلى النار!». تصيح بهم بأن لا تتركوا القرآن، فأوامره ونواهيه واضحة وإرشاداته في مسألة الخلافة بعد النبي صلى الله عليه وآله بائنة، كما أشار إلى ما سيحصل بعد فاته، خلاصة القول أنه لم يبق شيئاً إلا وأظهر خفاياه. ٤- إنذار أصحاب النبي صلى الله عليه وآله سيده الإسلام عليها السلام صرخة الزمان المدوية، تحذرهم قائلة: إن تركتم تراث النبي صلى الله عليه وآله العظيم «القرآن» وتمسكنم بغيره، وقدمتم أفكاركم العاجزة على تعاليم الإسلام وجعلتم أنفسكم حكماً على القرآن، بذريعة المصلحة وخوف الفتنة لا محتكمين لأوامره، عندها سيصيبكم الضرر الأكبر والخسران المبين. سوف لن تخمد نار الفتنة

فيكم، و ستبلون بما تخافونه، و ستختفى روح الإسلام من بينكم، فلن يبقى سوى القشر دون اللب و المظهر دون المحتوى الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٠

المحور السادس قصة غضب فدك و حجج الفاسيين و تفنيدها

النص: ثم لم تلبثوا إلا ريث (إلى ريث) أن تسكن نفرتها و يسلس قيادها، ثم أخذتم تروون و قذتها و تهيجون جمرتها، و تستجيبون لهتاف الشيطان الغوى و إطفاء أنوار الدين الجلى و إخماد سنن النبي الصفى. تسرون حسواً فى ارتغاء، و تمشون لأهله و ولده فى الخمر و الضراء، و نصبر منكم على مثل حز المدى و وخز السنان فى الحشا. و أنتم الآن أترعمون أن لا- إرث لنا؟ أفحكم الجاهلية بيغون و من أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون؟ «١» أفلا تعلمون؟ بلى تجلى لكم كالشمس الضاحية أنى ابنته. أيها المسلمون أغلب على إرثيه؟ يا ابن أبى قحافة! أفى كتاب الله أن ترث أباك و لا- أرث أبى؟ لقد جئت شيئاً فرياً. أفعلى عمدٍ تركتم كتاب الله و نبذتموه وراء ظهوركم إذ يقول: الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣١ «و وَرَثَ سَيِّمَانُ دَاوُدَ» «١». و قال فيما اقتص من خبر يحيى بن زكريا إذ قال: «فَهَبْ لِي مِنْ لَمَدُنْكَ وَلِيّاً يَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ» «٢» و قال: «وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ» «٣». و قال: «بُوصِيَكُمْ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» «٤». و قال: «إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ» «٥» و زعمتم أن لا حظوة لى و لا إرث من أبى؟ و لا رحم بيننا؟ أفخصكم الله بآيةٍ أخرج منها أبى؟ أم هل تقولون إن أهل ملتين لا- يتوارثان؟ أو لست أنا و أبى من أهل مليةٍ واحدةٍ أم أنتم أعلم بخصوص القرآن و عمومه من أبى و ابن عمى؟ فدونها مخطومةٌ مرحولة، تلقاك يوم حشرِك، فنعم الحكم الله و الزعيم محمد صلى الله عليه و آله، و الموعد القيامة و عند الساعة يخسر لمبطلون و لا ينفعكم إذ تندمون، «لِكُلِّ نَبِيٍّ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ» «٦». الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٢ «مَنْ يَأْتِيهِ عِذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عِذَابٌ مُّقِيمٌ» «١». التفسير: ١- إحياء المذهب الجاهلى بلغ حديث فاطمة عليها السلام أوجه فى هذا القسم مدلاً على ألم و هيجانٍ شديدين، فحرقه قلبها متأية من ظهور أحكام الجاهلية مرةً أخرى حيث أن الأثنى لم تكن لتورث فى زمن الجاهلية أما الإسلام فقد أبطل ذلك بعد مجيئه مقراً بحصه و سهم جميع الأقارب فى إرث المسلم، استناداً إلى ذلك فإن الموضوع لم يكن مقتصرراً على مسألة «فدك» فحسب، بل إن المهم فى الدرجة الأولى هو خطر إحياء سنن الجاهلية و محو سنن الإسلام، لذا قامت فى هذا القسم بتوجيه اللوم الشديد لهم، مكثفة حملاتها عليهم. الأعب من كل ذلك هو تعجيلهم فى إنجاز هذا العمل بشكلٍ أدرك معه الجميع أن مسألة «غضب فدك» لم تكن مسألةً عادية، فقد سعوا إلى هذا الغضب قبل أن يُحكموا قبضتهم على الخلافة، و بتعبيرٍ آخر فإنهم فكروا بذلك قبل أن تغيب شمس ذلك اليوم و هذه نقطة مهمة فى فهم عمق هذه المؤامرة الكبيرة. ٢- أدلة الخصم أشارت بضعه النبي صلى الله عليه و آله فى هذه الخطبة البارعة و الحاكمة العالمة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٣ بصورةٍ ضمنيةٍ إلى دلائلهم فى ذلك الغضب، حيث ادعوا أن الرسول صلى الله عليه و آله قال «نحن معاشر الأنبياء لا- نورث». بعدها قامت بالرد على تلك الحجج بأجوبةٍ منطقيةٍ و قاطعةٍ مستدلّة بشواهد من عموم القرآن و خصوصه، فتثبت و من خلال عددٍ من آيات الكتاب زيف هذا الحديث الموضوع الذى يجب ضربه بعرض الحائط! ٣- فاطمة عليها السلام تقطع جميع الاعذار لقد استخدمت هذه العالمة الكبيرة حربة الاستدلال فى هجومها على خصمها بشكلٍ لم تبق له سبيلاً للفرار. تقول عليها السلام إذ كان عذرکم هو الحديث الموضوع «نحن معاشر الأنبياء لا نورث»؟ فإن الرد عليه هو ما نصت به آيات القرآن التى ذكرتها لكم، و إذا كان عذرکم منعنا إرثنا فاعلموا أن جميع الأبناء يرثون آباءهم و أمهاتهم فى الإسلام، باستثناء من لم يكن على دين و مذهب أبيه، بمعنى أن الأبناء الكفرة «١» لا يرثون من أبٍ و أمٍّ مسلمين، فهل تعتقدون باختلاف دينى و مذهبى عن دين و مذهبى بوالدى؟! و إذا كانت روايب الجاهلية و أحكامها التى تنص على عدم توريث البنات قد علققت فى أذهانكم، فإن هذه الخرافات قد تعطلت و لا سبيل للعودة إلى ليالى الظلمة بعد بزوغ الفجر. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٤ ٤- هل أنتم أعلم بالقرآن أم أهل بيت

الوحي عليه السلام؟ تغلق فاطمة الزهراء عليها السلام هذا الطريق عليهم أيضاً حيث يقولون نحن نفهم من القرآن كذا و كذا، فتخاطبهم بالقول: أى مكان من القرآن؟ وبأى تفسير؟ ومن هو أجدد وأليق لهذا الأمر من ابن عمى على عليه السلام الذى تربى فى أحضان الوحي، وهو من كتّابه، كما أنه سمع القرآن وتفسيره من شففى الرسول صلى الله عليه وآله؟ الحقيفة هى أن القرآن قد نزل فى بيتنا و «أهل البيت أدرى بما فى البيت». خلاصة القول تشير إلى قضبة وراثه سليمان لأبيه داود و إرث يحيى عليه السلام من أبيه زكريا عليه السلام الذين كانوا جميعاً من الأنبياء الكبار، و تقول عليها السلام على خلاف هذه الرواية الموضوعه- يصرح القرآن بأن كلاً من الأبناء قد ورث أباه، و نعلم جيداً أن كل رواية تخالف القرآن يسقط اعتبارها. و تستدل أيضاً بعموم القرآن، حيث تنص الآية الشريفة «يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلَّذِ كَرِ مِثْلَ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ» «١» و كذلك «أُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ»، «٢» فتستفهم قائلة: هل يمكن لخبر الواحد المخالف لعموم القرآن و خصوصه أن يكون ذا قيمه و أهميه ولو بمقدار سم الخياط فى محكمة العدل الإسلامى؟ بعدها تعدد جميع الطرق التى تمنع تحجب الإرث و من ثم تقوم بتفنيدها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٥-٥- التريث و التربص لكى لا يتصور الحاضرون أن تمسكها بفدك نابع من كونه متصفاً بصفه مادية دنيويه، لا بصفه إلهيه، فقد أضافت هذه السيدة المجاهده قائلة: «الآن و بعد أن آل الحل إلى ما آل فخذوها طرّه، و افعلوا ما بدا لكم، لكن اعلموا أنكم ستقفون فى محكمة عظيمه تختلف عن سائر المحاكم الدنيويه، فالله «سبحانه و تعالى هو الحاكم فيها، و الرسول صلى الله عليه وآله هو المدعى عليكم فى تلك المحكمة، و موعدها يوم القيامة «يوم البروز» يوم تتضح كل خافية!». فإن أعددتكم جواباً لذلك اليوم فتوكلوا على الله، و إلا فاستعدوا للجزاء الإلهى. حينها ستندمون حتماً على ما فعلتم و لكن سوف لن ينفعكم هذا الندم أبداً لأن ملف الأعمال قد أغلق، و لا سبيل للرجوع إلى الماضى. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٦ المحور السابع

طلب نصره الأنصار

النص: ثم رمت بطرفها نحو الأنصار فقالت: يا معشر الفتية (النقيه) و أعضاء الملة و حضنة الإسلام، ما هذه الغميزه فى حقى و السنه عن ظلامتى. أما كان رسول الله صلى الله عليه وآله أبى يقول: «المرء يحفظ فى ولده». سرعان ما أحدثتم و عجلان ذاهاله، و لكم طاقة بما أحاول و قوه على ما أطلب و أزاول. أتقولون مات محمد صلى الله عليه وآله فخبط جليل إستوسع و هنه و استنهر فقهه، و انفق رتقه. و أظلمت الأرض لغيبته، و كسفت النجوم لمصيبته، و أكدت الآمال، و خشعت الجبال، و أضيع الحريم، و أزيلت الحرمة عند مماته. فتلك و الله النازله الكبرى و المصيبة العظمى لا مثلها نازله، و لا بائقة عاجله، أعلن بها كتاب الله جل ثناؤه فى أفنيتكم و فى ممساكم و مصبحكم هتافاً و صراخاً و تلاوه و ألقاناً، و لقبله ما حل بأنبياء الله و الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٧ رسله حكم فصل، و قضاء حتم. «وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقْبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئاً وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ» «١». إيهأ بنى قيله! أهضم تراث أبى و أنتم بمرأى منى و مسمع و منتدى و مجمع؟ تلبسكم الدعوه و تشملكم الخبرة و أنتم ذو العدد و العده و الأداة و القوه، و عذرکم السلاح و الجنه، توافيكم الدعوه فلا تجيبون، و تأتيكم الصرخه فلا تغيثون (تعينون)، و أنتم موصوفون بالكفاح، معروفون بالخير و الصلاح، و النخبه التى انتخب و الخيره التى اختيرت. قاتلتم العرب، و تحملتم الكد و التعب، و ناطحتم الأمم و كافحتم البهم، لا- نبرح أو تبرحون، نأمركم فتأتمرون، حتى إذا دارت بنا رحى الإسلام و در حلب الأيام، و خضعت نعره الشرك، و سكنت فوره الأفك، و خمدت نيران الكفر، و هدأت دعوه الهرج، و استوثق (و استوسق) نظام الدين! فأنى حرتم بعد البيان؟ و أسررتهم بعد الإعلان؟ و نكصتم بعد الإقدام؟ و أشركتم بعد الإيمان؟ «أَلَمْآ تَقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَنْتُمْ خَشَوْهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» «٢». ألا قد أرى أن قد أخلدتم إلى الخفض، و أبعدتم من هو أحق بالسط و الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٨ القبض، قد خلوتهم بالدعه و نجوتهم من الضيق بالسعه، فمججتم ما و عيتم، و دسعتهم الذى تسوغتم. ف «إِن تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَن فِي

الأرض جميعاً فإن الله لعنني حميداً» (١). ألا وقد قلت ما قلت على معرفة منى بالخذلة التي خامر تكم و الغدرة التي استشعرتها قلوبكم، ولكنها فيضة النفس، و نفثة الغيض (الغيظ) و خور القناة و بثة الصدر و مقدمة الحجة. فدو نكموها فاحتقبوها دبرة الظهر نقيبة (نقبة) الخف، باقية العار، موسومة بغضب الله و شنار الأبد، موصولة بنار الله الموقدة التي تطلع على الأفتدة، فبعين الله ما تفعلون. «وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٢) و أنا ابنه نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فاعملوا «أَنَا عَامِلُونَ وَأَنْتُمْ ظَاهِرُونَ» (٣) التفسير: ١- دور الأنصار الفاعل في تحقيق أهداف الإسلام تشيد سيده الإسلام عليها السلام في هذا القسم من حديثها بطائفة الأنصار، موصفة إياهم بالمجموعة المختارة و ساعد الإسلام القوى و حامى الرسول صلى الله عليه و آله المخلص، كما أظهرت لهم الشكر و الثناء بسبب ما بذلوه في خدمة الرسول صلى الله عليه و آله منذ دخوله المدينة و ما تحمّله من عناء و مصاعب الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٣٩ قبل ذلك في سبيل الإسلام. نعم، كان للأنصار دور مؤثر في تقدم الإسلام في الحرب و السلم و في جميع مراحلها، و بالرغم من ذلك فقد كانوا أقل توقعاً و طمعاً من المهاجرين، و ربما طوى تاريخ الإسلام مسيراً أفضل فيما لو صيرت لهم الأمور. مما لا شك و لا ريب أن في المهاجرين أشخاصاً مخلصين لم يتوانوا أبداً في إثارةهم و توضيحاتهم، لكن تغلغل المتلاعبين بالسياسة في أو ساطهم قد غر قلب الوضع كلياً ٢- هجوم فاطمة الزهراء عليها السلام على الأنصار لكن سخط سيده الإسلام عليها السلام عليهم هو لماذا التزمت هذه السواعد القوية و أصحاب الرسول صلى الله عليه و آله القدمات الصمت في مقابل الظلم الذي حل بآل بيته، فقد أقروا بسكوتهم صحة تلك المظالم، و لم يراعوا ذمة النبي صلى الله عليه و آله في أهل بيته، و الأهم من ذلك مؤازرتهم للغاصبين و موقفهم الشائن المساعد من تغيير محور الخلافة بعد اشتباك قصير راموا فيه تحقيق مصالحهم، حيث قبضوا ثمناً لذلك السكوت، و ذلك ذنب لا يغتفر! ٣- موت النبي صلى الله عليه و آله لا- يعني موت الإسلام بين القرآن المجيد من ناحية و الرسول الكريم صلى الله عليه و آله من ناحية أخرى حقيقة مهمة ألا و هي أن الإسلام لا يعتمد على شخص معين، فهو دين أزلي مستمر إلى يوم القيامة و لا ينتهي بوفاء النبي الكريم صلى الله عليه و آله، لأنه كان ثورة قائمة على أساس ديني، دين إلهي سماوي، الدين الذي يؤمن الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤٠ احتياجات الناس على مر العصور، فلا بد لهذا الدين أن يبقى و يدوم. ولكن رغم كل ذلك، فإن قسماً من الناس ممن ينقصه بُعد النظر و تهمة المظاهر، يتصور أن الضربة الموجهة و المصيبة المؤلمة التي ألمت بالعالم الإسلامي بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله و الفراغ الذي نتج عن فقد المحيط الإسلامي لهذا القائد العظيم قد أودى بحياة الإسلام، و انطوت أيامه و أحداثه! مما حدى بهم ذلك إلى غلق شفاههم في مقابل تلك النعرات الجاهلية. تصرخ فاطمة عليها السلام مذكرة إياهم بآيات القرآن التي تتحدث عن أزلية و بقاء الإسلام، تبتة الغافلين و توقظهم من غفلتهم، و تعرّف المسلمين مسؤولياتهم الثقيلة في تلك المرحلة الحساسة. ٤- الصمت في مقابل تعطيل الأحكام الإسلامية؟ تويخ في مقطع آخر من حديثها عليها السلام الأنصار بشدة، بأن سكوتكم على أحداث «فدك»، الاحداث التي تعد حلقة من سلسلة انحرافات متواصله، و شرارة من شعله متوهجة، و قطرة من تيار جارف، سيؤدي ذلك في النهاية إلى إحياء الطيف المناهفي للإسلام! يظهر الناس حيرتهم متسائلين: إذا كان صحيحاً ما يقال من أن قانون الإسلام هو الحق، فلم لا يسرى حكمه على أقرب أقرباء النبي صلى الله عليه و آله؟ فعند ما يسحقوا مثل هذا الحكم الصريح و أنتم تقرون ذلك بسكوتكم، صار من السهل عليهم أن يسحقوا سائر الأحكام الإسلامية! يجب أن تنظروا لهذه المسألة على أنها «عملية مدبرة» لا بعنوان أنها الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤١ «واقعة عرضية»، و تصوروا ما هي الأحداث الأخرى التي خبأت خلف هذه الحادثة؟ و ما ثورتى و صرختى إلا لهذا السبب! لا تتصوروا أن «حمايتكم للمظلومين من أمثالي» توجد الفرقة بين صفوف الأمة الإسلامية، بل على العكس، فإن سكوتكم يثير الغرابة و الدهشة، فلو ادعيتم الضعف و العجز فقد كذبتكم، فقيكم العدد و العدة منذ البداية، و هي الآن أكثر، إضافة إلى ذلك فلما ذا تلقون آيات القرآن الصريحة التي تنص على «ألا تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ يَدْعُوكُمْ أُولَٰئِكَ مَرْءَةٌ أَن تُخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ» (١) خلف ظهوركم؟ و تخافونهم بدل أن تخافوا الله؟ ٥- الخلود إلى الدعة بعدها تغوص هذه المعلمة القديرة في أعماقهم لتستخرج سبب

سكوتهم الأصلي، فتشير إلى أن المسألة هي أن استولى عليكم حب الدعوة و طلب الراحة، و استسلمت أجسادكم للإستراحة، فرغم أنكم شاهدتم بأعينكم تنحية و تباعد من هو أحق و أليق بالخلافة من غيره عنها إلا أنكم التزمت جانب الصمت؟ نعم، تستمر عجلة الثورة إلى الوقت الذي يحتفظ الأشخاص بالروح الثورية و لم يخضعوا لميولهم الدنيوية، و إلا ركعوا أمام المصاعب و المشاكل، غير مبالين بما يمر بهم من حوادث مرّة، و بالتالي بخت نور الثورة! الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤٢ ٦- النكوص عن النصره تمتلك هذه السيدة الشجاعه بصيره نافذه في أدق الأمور، فهي تميظ اللثام عن حقائق هامه، فتخاطب طائفة الأنصار في هذا المقطع مشيره إلى هذا المعنى غايتي هي إتمام الحجّه عليكم لا غير، فليس لي فيكم أملاً يُرتجى فبعد أن التزمت الصمت في مسألة «الخلافة» كان من الطبيعي أن ترفعوا نفس الشعار في مسألة «فدك»، لكن التاريخ الإسلامي سيسجل حديثي لهذا اليوم، و ستحكم الأجيال القادمة فيما بيننا، هذا بالإضافة إلى أنني أردت أن أزيل عن قلبي عُقد الهم، و ازيح غيض صدرى حتى يعلم الجميع ما عانيت من الالم! ٧- البشارة بالعذاب تشير بطله الإسلام في هذا المقطع إلى نتيجة أفعالهم، فتقول منبهه إياهم: أتظنون أن ثمن هذا لسكوت، و طلب الراحة ذاك، و هذا الموقف المتفرّج، و هذه اللامبالاه سيكون رخيصاً بل ستقطفون ثمارها المرّة في هذه الدنيا على أيد حكوماتٍ جائره- مثل بنى أميه و بنى العباس- و التي سوف لن ترحم أعقابكم و لن تتورع عن هتك القرآن و الاسلام. ٨- امتداد إنذار النبي صلى الله عليه و آله تقول سيده النساء فاطمه عليها السلام نفس ما كان يقوله الأنبياء للمجرمين، حيث تنذرهم: الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤٣ «إِنَّا عَامِلُونَ وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُتَنْظِرُونَ». «١» أنتم تنتظرون أن يقع بآل بيت النبي صلى الله عليه و آله ظلماً أكبر، و نحن ننتظر فيكم عقاب الله المؤلم و المهلك!

الخطبة الثانية لسيدة الإسلام فاطمة الزهراء عليها السلام

الخطبة المؤلمة في نساء المدينة

ألقت سيده النساء عليها السلام هذه الخطبة و هي على فراش المرض، ذلك المرض الذي لم تشف منه أبداً، و منه عرجت روحها الطاهرة. كانت خطبتها الأولى في مسجد الرسول صلى الله عليه و آله و هي في حاله صحيه جيده «١»، و بحضور جمع من رجال المهاجرين و الأنصار، و كانت هذه الخطبة في مقابل نساء المهاجرين و الأنصار في داخل بيتها و على فراش المرض. رغم أن المخاطب قد اختلف، و الزمان و المكان قد تغيرا، و الحال قد تردى إلا أن لحن الخطبتين ينم و بوضوح عن روحية عالية مملوءة بالعلم و المعرفة، مفعمة بالإيمان و حب الله، يفيض من جنبيها ألم و حزن، و قد تميزت كلا الخطبتين بلحن بليغ و ساحق و أخاذ و قاطع و شجاع، لكن لحن الخطبة الثانية التي هي موضوع بحثنا حالياً كانت أشد تنكيلاً بالظالمين و أكثر حرقة و ألماً و غماً. لقد كانت هذه الخطبة التي صدرت من قلب بنت الرسول صلى الله عليه و آله المتألم بمثابة رسالة الهموم و الاحزان. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤٨ الهم الذي نغض روحها و نخر عظامها، و أشعل نيران الحرقة في كيانها، و لذلك نرى أن خطبتها اتخذت طابعاً ملتهباً دموياً لأنها نبتت من قلب محترق فاض بدم الأسي و الحسرة. من عجائب هذه الخطبة هي أن هذه السيدة الجليلة عليه السلام قد لاقت الكثير من الظلم العنيف في الفترة الواقعة ما بين وفاة أبيها صلى الله عليه و آله و استشهادها عليه السلام، ذلك الظلم الذي كان سبب مرضها العصب، و رغم أن سؤال نساء المدينة عند عيادتها كان يدور حول حالتها الصحية، و عادةً يشكو المريض بعضاً من آلامه إن لم يكن حديثه كله مختصاً بحالته الصحية، رغم كان ذلك فإنها لم تورد في حديثها أي كلمه عن حالها و مرضها، بل كان حديثها منصباً على مسألة غضب الخلافة و ظلامه على عليه السلام، و الأخطار التي ستمر بالأمة الإسلامية نتيجة هذا الإنحراف. عجباً لها، فلم تذكر في حديثها شيئاً عن مرضها، فكل ما قالته كان عن ألم زوجها على عليه السلام و عن مشاكل العالم الإسلامي. نعم ... لقد كانت روح الزهراء عليها السلام أرفع من أن تتكلم عن نفسها و آلامها- رغم أنها كانت كبيرة- بل و أجل من أن يوصف علو

شأنها، فتكلمت فقط عن إمامها وزوجها المحبوب على عليه السلام وآلامه. لم تكن قلقه عى نفسها، بل كانت قلقه على الأمة الإسلامية و مصيرها المشؤوم و المؤلم. يفكر المرء عادةً في آخر لحظات حياته بنفسه و مشاكله و آلامه، لكنّ المدهش أن فاطمة عليها السلام لم تورد على لسانها في هذه الخطبة الطويلة شيئاً من ذلك، و لا حتى بجملة واحدة. و هذا أكبر دليل على عظمة فاطمة عليها السلام و مقام تضحيتها و إثارها. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٤٩ و في هذا عبرة لكل الأحرار الهادين و لكل المضحين و الفدائيين في تاريخ البشرية. بلى فقد كانت دائماً- و إلى آخر لحظة من حياتها الشريفة المملوءة بالآلام و الهموم- شمعاً تحترق لتتبر لمن حولها و تنجى الضالين منهم و تدافع عن الحق و العدالة. تحدّثت في خطبة فدك (الخطبة الأولى لسيدة النساء) عن كل من التوحيد، النشوء، المعاد، فلسفة الأحكام، و الأحداث التي رافقت بعثة النبي صلى الله عليه و آله، و بركات وجوده، و مسألة غضب الخلافة، و مصير المسلمين، و إن هي تحدّثت عن «فدك» فذلك لدورها المؤثر في كونها دعامة مائية لمسألة الخلافة و كذا سائر مسائل الإسلام السياسية، و هذا ما دعى الأعداء إلى تضيق الخناق على آل بيت النبي صلى الله عليه و آله و تحطيم قدراتهم بانتزاع «فدك» من أيديهم، فأرادت إسترجاعها منهم. لكنّ سيدة النساء عليها السلام ركزت في خطبتها الثانية «خطبة نساء المهاجرين و الأنصار» حديثها على محور الخلافة و الإمامة فقط، و بالرغم من معاناتها للكثير من الظلم و الجور و رغم أن الفرصة كانت سانحة للمطالبة بحقها المغصوب، إلا- أنها لم تطالب بأى شيء بل و لم تنطق بأية شكوى، فكل ما قالته كان عن عليّ عليه السلام، و عن الخلافة و عن مصالح المسلمين. يُعدُّ «التسليم المطلق» من المقامات العالية التي يتحلى بها أولياء الله. و هذا يعني أن يسلك إلى الله طريق الحق و العدل الذي ينسى المرء فيه نفسه، فلا يرى غير الله. لا يَأتمر إلا بأمره. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٠ لا يرجو إلا- رضاه. لا يفكر إلا- بما يريده. فالمرحلة الأولى هي الإسلام، ثم الإيمان و بعد ذلك الرضا، و من ثم يأتي دور التسليم المطلق، و لهذا المعنى يشير الله سبحانه و تعالى في محكم كتابه الحكيم: «قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ» (١) و يقول أيضاً: «فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً» (٢). ثم يقول: «إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُوراً» (٣) إن مقام الإيمان و الرضا و التسليم الذي تتحلى به هذه السيدة جعلها تتناسى و تتجاهل آلامها و همومها المرهقة و تتحدث عن رضا الله، و عن رسوله صلى الله عليه و آله و عن وليه، و عن مستقبل الإسلام و المسلمين. و يسرنا بعد هذه المقدمة القصيرة عن الخطبة و فحواها، أن نتوجه صوب نصها، فنجعلها في خمسة أقسام، لكنه ينبغي أن نتعرف أولاً على وثائق و أسناد هذه الخطبة. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص:

مناقشة أسناد خطبة سيدة النساء عليها السلام

وردت هذه الخطبة في مختلف مصادر العامة و الخاصة، سند ذكر منها المصادر السبع التالية: ١- كتاب «الاحتجاج» للمرحوم «الشيخ الطبرسي» صلى الله عليه و آله. (١) ٢- كتاب «كشف الغمة» المشهور للكتاب «علي بن عيسى الأربلي» نقلًا عن كتاب «الصحيفة» (٢) ٣- «بحار الانوار» للمرحوم «العلامة المجلسي» ينقل هذه الخطبة و بأسنادٍ متعددة (٣) ٤- كتاب «معاني الاخبار» للمرحوم «الشيخ الصدوق» يورد هذه الخطبة مع ذكر سندها في آخرها نقلًا عن عبدالله بن حسن عن أمه فاطمة بنت الإمام الحسين عليه السلام (٤). ٥- و ذكرت في نفس المصدر بسندها عن علي بن أبي طالب عليه السلام (٥) ٦- كتاب «الأمالى» للمرحوم «الشيخ الطوسي». ٧- كتاب «شرح نهج البلاغة» للعالم السنّي المعروف «ابن أبي الحديد» (٦) الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٢ على أي حال و كما ذكرنا سابقاً، فقد وردت هذه الخطبة بأسنادٍ متعددة مع ملاحظة اختلاف في نصوصها، و قد اخترنا أقربها للصحة و أكملها و هو المنقول في «الاحتجاج» عن «سويد بن غفلة» (نقل ذلك أيضاً العلامة الكبير المجلسي في المجلد ٤٣ من بحار الانوار ص ١٦١) (١) و عليه فإن الخطبة المذكورة هي من الخطب التي وردت من مصادر متعددة و بأسنادٍ معتبرة، لذا فهي تتمتع بأهمية خاصة. ولكي نتعرف

على الحقائق التي تضمنتها هذه الخطبة، نتجه صوب متن الخطبة و تفسيرها.

القسم الأول

لما إعتلت فاطمة عليها السلام علة الموت، اجتمع إليها نساء المهاجرين و الأنصار، يعدنها، فقلن لها: كيف أصبحت من علتك يا ابنه رسول الله؟! فحمدت الله و صيّلت على أبيها عليه السلام ثم قالت: أصبحت والله عائفةً لدينا كنّ، قاليه لرجالكنّ. لفظتهم بعد أن عجمتهم و شنأتهم بعد أن سيرتهم. فقبحاً لفلول الحدّ، و اللعب بعد الجد، و قرع الصفاء، و صدع القنأه، و خطل الآراء، و زلل الأهواء، و «لَبَسَ مَا قَدَمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ» (١) لا جرم لقد قلدتهم ربقتها و حملتهم أوقتها و شننت عليهم عارها. فجدعاً و عقراً و بُعداً للقوم الظالمين. نظرة عامة: يعترض الإنسان في طول حياته أياماً و ساعات حساسة تكون بمثابة امتحان له، و بالطبع فإن الامتحان الإلهي يُرى في المرء روحه و يزيد الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٤ فيه المقاومة و الشهامة كما يتم من خلاله كشف قابلياته و تفتح استعدادته، و أيضاً معرفة المرء حقيقة باطنه. علماً أن المرء قد يشبه أحياناً في معرفة نفسه، لا كما هو الحال في الامتحان البشري الذي يُقام لكشف عددٍ من المجاهيل و التعرف على بواطن الأفراد من خلال التجربة و التحليل. و هذه المسألة قد وضحت في هذا القسم من خطبة سيده الإسلام عليها السلام. تظهر الزهراء عليها السلام نفرتها و انزعاجها الشديدين ممّن ينتهز الفرصة ليسترزق منها مؤنة يومه، أي من المهاجرين و الأنصار لأنهم سكتوا- ليس سكوتهم فحسب- بل على موافقتهم للانحرافات التي حدثت بعد وفاة النبي صلى الله عليه و آله، فأندرتهم بأن يحذروا هذا الإمتحان الإلهي العظيم. تذكّروهم بجهادهم الرائع في عصر الرسول صلى الله عليه و آله، و من ثم تشبههم بالسيوف المثلومة التي فقدت قدرتها في صدّ الأعداء و دحرمهم، و بالرماح التي تهشمت فأصبحت غير مفيدة لأى شيء. توبّخ ابنه النبي الكريم صلى الله عليه و آله بشدة أولئك الذين سخروا من مبادئ الإسلام و جعلوها عرضةً لأهواءهم، و من ثم وجهت لومها و تحقيرها إلى من وهن عزمهم، و فقدوا قدراتهم في اتخاذ قرارٍ ضدّ الانحرافات التي حدثت. في نهاية هذا القسم تقوم بإنذارهم بأن مسؤوليّه غضب الخلافة ستثقل كاهلهم إلى الأبد، و ستبقى جباههم موسومةً بوصمة العار التي جاءت نتيجةً لسكوتهم، كما أن التأريخ الإسلامي سيسجّل هذه الحادثة المؤلمة بمنتهى الأسف. نعم، فالكثير منهم لم يخرجوا من الإمتحان منتصرين و لم تكن الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٥ و جوههم مستبشرة، و كم كان حسناً لو تبيّنت «حقائق الأمور» للعيان حتى تسودّ وجوه «الغشاشين»، و كم كان لطيفاً لو أُقيمت مناقل النار ليفضح «مدلوك الذهب و سوار الفضة» باطنه و يتبين للناس حقيقته ليميزوه عن الذهب الخالص. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٦

القسم الثاني

إشارة

و يحهم أتى زعزعوها عن رواسى الرسالة و قواعد النبوة و الدلالة، و مهبط الروح الأمين و الطيبين بأموال الدنيا و الدين «أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ» (١) و ما الذى نقموا من أبى الحسن عليه السلام؟ نقموا منه و الله نكير سيفه، و قلته مبالاته بحتفه، و شدة و طأته، و نكال وقعته، و تنمره فى ذات الله. و تالله لو مالوا عن المحجة اللائحة، و زالوا عن قبول الحجّة الواضحة، لردّهم إليها، و حملهم عليها، و لساربهم سيراً سجحاً، لا- يكلم خشاشه، و لا يكل سائره و لا يمل راکبه. و لأوردهم منها نيراً صافياً رويّاً تطفح ضفّته و لا يترنق جانباه و لأصدرهم بطاناً و نصح لهم سرّاً و إعلاناً. و لم يكن يتحلى من الدنيا بطائل، و لا يحظى منها بنائل، غير رى الناهل و شبعه الكافل و لبان لهم الزاهد من الراغب، و الصادق من الكاذب. «وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ الزَّهْرَاءِ عَلَيْهَا السَّلَامُ سَيِّدِ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، ص: ١٥٧ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (١) «وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ

سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ» (٢) التفسير

المعايير والقيم الإلهية

تحكم المجتمع الإلهي السليم معايير وقيم إلهية في جميع مجالات الحياة، سيما في أشغال المناصب، فلا سبيل للأجحة ومنتزى الفرص، و الدسائس السياسية و العصبية القبلية و القومية، و كذا ما يعقده تجار السوق السياسى من اتفاقات خلف الكواليس فى ارتقاء المناصب و التصدى لمسؤوليتها. تخاطب سيده النساء عليها السلام فى هذا القسم نساء المدينة مستفهمه: لماذا؟ و بأى مسوغ غير رجالكن محور الخلافه عن المسير الذى طالما بينه الرسول صلى الله عليه و آله فى أحاديثه الصريحه الواضحه؟ و ما هو نقص أبو الحسن على بن أبى طالب عليه السلام؟ و هل يفتقد شيئاً من الكمالات اللازمه، روحية كانت أم جسدية؟ بلى إن عيبه هو سيفه الغالب الذى خطف النوم من عيون أعدائه، قدرته اللامتناهية فى ميادين القتال، إستخفافه بالموت فى سوح الوغى جعلت منه حصناً منيعاً عجز أعداء الإسلام فى اختراقه. فالعذر التافه الذى أُوخذ عليه هو أن توجهه لله فقط، فرضاه من رضا الله، كما أن غضبه و سخطه لوجه الله فقط. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٨ الحقيقة أن كلام سيده النساء عليها السلام كان بمثابة تذكير لهم بأن قيم و مفاهيم المحيط الإسلامى قد تغيرت و تبدلت بعد وفاة النبى الكريم صلى الله عليه و آله، و بسبب انحراف المزاج السليم لأرواح هذه المجموعه من المهاجرين و الأنصار، صار طعم القيم الإسلاميه الحقيقيه فى أعماقهم مرّاً كالحنظل بعد أن كان لذيذاً كالعسل، كما اعتبرت الشروط التى تشكل أهم مواصفات القائد الربانى القاطع الصارم عيباً و نقصاً له. بعدها تستمر فى حديثها متبته إياهم أن تنحية على عليه السلام عن الخلافه إنما هو كفران لنعمه كبيره و موهبه إلهيه عظيمه، علماً أنه أعلم الناس بآيات القرآن و بحلال الله و حرامه. فهو أعرف من غيره بالحق و الباطل و القادر على الفصل بينهما، و لو آلت إليه زمام الأمور لم يكن يسمح لورثه الشرك (آل أبى سفيان و هم أعدى أعداء الإسلام و أشد المخالفين للقرآن الكريم) أن يطمعوا فى الحكومه الإسلاميه بهذه السرعة، و يحولوها إلى جهاز حكومى مستبد، و هو أسوأ و أظلم من حكومه كسرى و قيصر و الفراعنه. فإذا كانت أمورهم مودعه فى يد على عليه السلام المتقدرة، لأجلسهم مركب الحق المنيع، و لهداهم بأمان و هدوء و مداراه إلى نبع ماء الحياه، و من ثم لرواهم من ذلك النبع المتدفق ماءً عذباً زلالاً يمنح شاربيه حياه أزلية. إن من شروط القائد الربانى هو حب الخير و العطف على الأمة، فهل وجدوا أحداً أكثر عطفاً و شفقه من على عليه السلام؟ الشخص الذى كرس جهده فى إشباع الجيع و إرواء العطاشى يتألم لآلامهم و همومهم، كما أن غمهم يعصر قلبه. الشرط الآخر فى مسأله الخلافه و الإمامه هو الزهد و عدم الاغترار بالدنيا و جاهها و مالها، فإن تعلق قلب قائد الأمة بالدنيا صار من السهل الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٥٩ النفوذ إليه من هذا الطريق، و من ثم تضليله و حرفه عن جاده الحق. فهل يوجد فى كل الأمة الإسلاميه أزهده و بالدنيا من على عليه السلام؟ الشخص الذى لم يكتنز ذهاباً أبداً، و لم يشيد لنفسه قصرًا، ثيابه بسيطه كثياب غلامه. و غذاؤه بمستوى غذاء أفقر الناس. إذا كانت معايير الخلافه هى القدره الروحيه و البدنيه، الإخلاص فى النيه و الزهد و العصمه و التقوى و العطف على الأمة، فمن هو أفضل من أمير المؤمنين على عليه السلام الذى يتحلى بهذه المواصفات؟ و إذا كان النبى صلى الله عليه و آله قد نصب علياً عليه السلام خليفه له مشيراً إلى هذا المعنى مرّات و مرّات عبر عبارات مختلفه الصيغ، معتبراً إياه أليق من الجميع لهذا المقام فهذا لا يقتصر عليه نابل، الله سبحانه و تعالى اعتبره أليق الناس بهذا المنصب. تقوم سيده النساء عليها السلام فى نهايه هذا القسم بإنذارهم و تحذيرهم بأن لا يظنوا أن ثمن هذا الكسل و التقصير، و تقاعسهم فى حمايه الشخص الأنسب للخلافه سيكون رخيصاً، بل عليهم أن ينتظروا ما سيخلفه ذلك التقصير و ذلك التقاعيس و يتذوقوا نتيجته المره، عليهم أن لا يتصوروا أنهم يستطيعون النجاه و الفرار من قبضه العذاب الإلهى فى هذه الدنيا، كلا، أبداً. بلى سيحصلون فى نهايه الأمر ما زرعوا، و سيبتلون بحكومات عنيده و جباره و فاسده و مفسده و ظالمه تفتقد الرحمه كحكومات بنى أميه و بنى العباس، فى ذلك اليوم الذى سوف لن يجدوا فيه سبيلاً للفرار و هم يشعرون بمواجهتهم لعذاب الآخرة. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٠

القسم الثالث

إشارة

ألا هلّم فاستمع و ما عشت أراك الدهر عجباً، و إن تعجب فعجب قولهم: ليت شعري إلى أي سنادٍ استندوا؟ و على أي عمادٍ اعتمدوا؟ و بأية عروةٍ تسمكوا؟ و على أية ذريةٍ أقدموا و احتنكوا؟! «لَبَسَ الْمَوْلَى وَ لَبَسَ الْعَشِيرَ» (١). «و بَسَّ لِلظَّالِمِينَ يَدْلًا» (٢). استبدلوا و الله الذنابي بالقوادم، و العجز بالكاهل، فرغماً لمعاطس قوم يحسبون أنهم يُحسنون صنعا. «الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون» (٣) و يحهم! «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (٤) التفسير

ترجيح «المرجوح» على «الراجح»

لا- يستطيع أئى امرىء أن يقبل ترجيح «المرجوح» على «الراجح» ألا من يُنكر «الإستقلال العقلى». أو بتعبيرٍ أوضح فأن أى إنسانٍ لا يتردد الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦١ أبداً فى تقديم «شىء ذو مزايا عديده» على «شىءٍ فاقده لجميعها». فهل يا ترى سمعتم أن شخصاً عند انتخابه لمعلم ما، يقوم بترجيح الطالب على الاستاذ؟ أو عند معالجه مرض ما أن يفصل طبيياً عادياً قليل الخبرة على طبيبٍ كبير عظيم الخبرة و التجربة؟ (دون أن تؤخذ خواص أخرى بنظر الاعتبار) عند انتخاب قائده معين، إذا تجاهلنا ذوى التجربة و التدبير و الإدارة، و اتجهنا صوب الجدد ذوى التجربة القليلة، عندها سيسلك الجميع بصحة عقولنا و سلامتها. حتى أولئك الذين لا يعتقدون بقبح هذه المسألة (ترجيح «المرجوح» على «الراجح»)، لا يتجاهلون هذا المبدأ فى أداء أعمالهم أبداً، بل يعملون دائماً على ترجيح الأحسن. مثلاً عند شراءهم لفاكهةٍ معينه، فهل يتركون الجيد منها و يتاعون الرديء و غير الناضج منها؟ او عند اختيار صديقٍ ما، فهل يفضلون الأشخاص الأشرار ذوى الصيت السيء على التزيهين و الأخيار؟ كما أن من المستحيل أن يُفضل الإنسان الماء الآسن على الماء الزلال، و إن وُجد شخص، يفعل ذلك فلا ترديد فى كونه ناقص العقل. نعم، تعمى و تصم المنافع المادية أحياناً بصر و سمع الإنسان بشكل تُنسيه منافعه الحقيقية، عندها يؤدى الإنسان عملاً يدفعه إلى تقديم «المتأخر» على «المتقدم». و قد اعتمد القرآن الكريم على هذا المعنى فى تأنيبه للكفار و المشركين الذى لوثوا أنفسهم بهذا العلم القبيح المرفوض، حيث نقرأ: «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (١). تضيف السيدة الرشيدة و ابنة النبى الكريم صلى الله عليه و آله فى هذا القسم (القسم الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٢ الثالث) من خطبتها الغراء المؤلمة مشيرةً إلى هذا المعنى يا معشر المهاجرين و الأنصار! لم خذلت من كان له السبق فى الإسلام، و أول من بايع الرسول صلى الله عليه و آله من الرجال، و اتبعت من ليس له من هذا الافتخار أى نصيب، (بل و سجد للأصنام حتى بعد بزوغ شمس الإسلام)؟ لم أبعدتم من هو «باب» لمدينه علم النبى صلى الله عليه و آله و الأقدار على التحكيم و القضاء استناداً إلى حديث الرسول صلى الله عليه و آله المشهور «أقضاكم على»، و سرتهم خلف من لا يملك شيئاً من ذلك العلم و تلك المعرفة؟ لقد تجاوزتم بعملكم هذا القانون الصريح (بترجيح «الراجح» على «المرجوح»)، و تناسيتم حكم القرآن فى هذا الأمر (مضمون الآية التى ذكرت أعلاه) «١». تعجب سيده الإسلام عليها السلام من هذا الأمر بشده، و تصف الدنيا ب «عالم العجائب» الذى يعلم الإنسان فى كل يوم ينقضى من عمره درساً جديداً. تتساءل بعدها عن الدليل الذى دفع هذه المجموعه التى يبدو عليها العقل و التدبير إلى تغيير محور الخلافه، و اختيار الآخرين ليحلوا محل على بن أبى طالب عليه السلام؟ و لأي من الوثائق استندوا؟ و كيف تجاهلوا ميزات على عليه السلام الواضحة، و قدّموا المرجوح عليه؟! و تستعين فى نهاية هذا القسم بالآيات التى تتحدث عن مصير هؤلاء الناس: «ي لَبَسَ الْمَوْلَى وَ لَبَسَ الْعَشِيرَى» (٢). و بَسَّ لِلظَّالِمِينَ بدلأى (٣). الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٣

القسم الرابع

إشارة

أما عمرى لقد لقت، فنظرة ريشما تُنتج، ثم احتلبوا ملاء القعب دماً عبيطاً و دُعا فاً مبيداً «هنا لك يخسر المُبطلون» و يعرف التالون غبّ ما أسس الأولون، ثم طيبوا عن دنياكم أنفساً و اطمئناوا للفتنة جاشاً. و أبشروا بسيف صارم، و سطوة معتد غاشم و هرج شامل، و استبداد من الظالمين يدع فيئكم زهيدا، و جمعكم حصيداً فيا حسرة لكم و أنى بكم و قد عميت عليكم؟ أنلزمكموها و أنتم لها كارهون. التفسير

الاختيار الخاطيء و ثمرته المشؤومة

يعتقد الكثير من الناس أن تناسيهم للوقائع يجعلها تنساهم هي الأخرى و لن تأخذهم بجلايبهم. هكذا يظنون، يمكن الحصول على ثمر جيد من خلال زرع بذرة فاسدة. نعم لن يمض وقت طويل حتى تتهاوى ظنونهم كما يتهاوى البناء الذى هراء الدود أركانه، أو كما تزول الفقاعات من على سطح الماء، أو كالطيف الذى يتلاشى باستيقاظ النائم، عندها يرى الصورة البشعة الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٤ المشؤومة للواقع الذى نتج عن اختياره الخاطيء، و سيتذوق مرارة الأحداث التى سيفرزها عمله الطائش. نعم هذا هو قانون الوجود الذى سيحكم البشرية كما حكمها فى جميع مراحلها التاريخية بكل قدرته، و هو أن يرى المخطىء نتيجة و عاقبة عمله، و يبدل طعم حياته الرائع فى نفسه إلى حنظل، و أحلامه الجميلة إلى كابوسٍ موحش. تركّز سيده الإسلام عليها السلام فى القسم الرابع من خطبتها على هذا المعنى حيث تفصح عمّا سيواجهونه نتيجة عملهم المشؤوم: سيحمل جمل الخلافة بعد انحراف مسيره سريعاً و سيعانق الأرض منه مولودٌ عجيب الخلقه، عوض من أن تشربوا حليبه السائغ الهنىء، ستناولون كؤو ساء مليئاً بدم جديد، يملأ قدام قلوبكم! و سيصّب فى فيكم السّم المميت بدل اللبن الخالص. و بالتدرّج سيأتى دور ظلام التأريخ و أبناء و أحفاد «أبوسفيان» و «الحجاج» و «الأشاعنة» و من هو أسوأ منهم، الذين سيُسَلطون سيوفهم على رقابكم و رقاب أبنائكم، و سيحصدون ثمار حياتكم بمنجلهم المميت. سوف لن يكتفوا بسرقة أموالكم و سبى نسائكم، و إنّما سيقيمون فيكم قتلاً جماعياً متكرراً، تتلون عى أثره الأرض بلون دمائكم، بما فى ذلك أرض مسجد النبى الكريم صلى الله عليه و آله، نعم فسيعملون فيكم و فى أبنائكم القتل فى داخل المسجد الشريف ثانى الحرمين الآمنين حتى يطفح صحن المسجد بالدم، بل و سيهتكون حرمة بيت الله الحرام بقصفه بالحجارة بواسطة المنجنيق، و سيتلقفوكم بسيوفهم فى داخله و خارجه! الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٥ لقد حلق بكم الخيال بعيداً، فظننتم أنّ أعداركم الواهية فى تخليكم عن نصره الحق و الدفاع عن خليفة الرسول صلى الله عليه و آله سينجيكُم من الجزء الإلى بسهولة، و ستفترّون عندها من عواقب أعمالكم السيئة، هيهات، فذلك تصوّر باطل! هيهات، فذلك خيال محال! و اليوم ... نعم فى هذا اليوم و عند ما نتفحص صفحات التأريخ المنصرم ندرّك أكثر من أى وقت حقيقة و واقعية حديث الزهراء عليها السلام ذو المحتوى القيم، فما أتعس العواقب التى حلت بالمسلمين نتيجة انحراف محور الخلافة عن مسارها الأصلى؟ و كيف أصبحت أرواحهم و أموالهم و أعراضهم، و الأكثر من ذلك قوانين و أحكام و مقدسات الإسلام لعبة بيد ورثة أحزاب الجاهلية؟! لم يرحم أعوان بنى أمية الكبير و لا الصغير. لم يراعوا حرم رسول الله و لا احترام بيت الله «سبحانه و تعالى لم يكتوا احتراماً للمهاجرين و كذا للأئصار. فيوصى واحد من أبناء «آل سفيان» إلى من حوله: تلقفوها يا بنى أمية تلقف الكره فوالذى يحلف به أبوسفيان ما من جنة و لا نار. فماذا أكثر من ذلك! لذا يقول معاوية بن أبى سفيان أيضاً: ما قاتلكم لتصلوا و لا لتصوموا ... بل قاتلكم لأتأمر عليكم. و الأسوأ من ذلك تلك القصة التى ينقلها العالم المتعزلى المعروف «ابن أبى الحديد» فى شرح نهج البلاغة حيث يقول. «وقد طعن كثير من أصحابنا فى دين معاوية، و لم يقتصروا على الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٦ تفسيره، و قالوا عنه إنه كان ملحداً لا

يعتقد النبوة، ونقلوا عنه في فلتات كلامه و سقطات ألفاظه ما يدل على ذلك. و روى الزبير بن بكار في «الموفقيات» و هو غير متهم على معاوية، و لا- منسوب إلى اعتقاد الشيعة، لما هو معلوم من حاله من مجانبة علي عليه السلام، و الانحراف عنه: قال المطرف بن المغيرة بن شعبة: دخلت مع أبي علي معاوية، و كان أبي يأتيه، فيتحدث معه، ثم ينصرف إلي فيذكر معاوية و عقله، و يعجب بما يرى منه، إذ جاء ذات ليلة فأمسك عن العشاء، و رأيتة مغتماً فانظرتة ساعة، و ظننت أنه لأمر حدث فينا، فقلت: مالي أراك مغتماً منذ الليلة؟ فقال: يا بُني، جئت من عند أكفر الناس و أخبثهم، قلت: و ما ذاك؟ قال: قلت له و قد خلوت به: إن قد بلغت سنّاً يا أميرالمومنين، فلو أظهرت عدلاً، و بسطت خيراً فإنك قد كبرت؛ ولو نظرت إلى إختك من بني هاشم، فوصلت أرحامهم فوالله ما عندهم اليوم شيء تخافه، و إن ذلك مما يبقى لك ذكره و ثوابه؛ فقال: هيهات هيهات! أي ذكر أرجو بقاءه! ملك أخوتيم فعدل، (إشارة للخليفة الثاني) و فعل ما فعل، فما عدا أن هلك حتى هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: أبو بكر: ثم ملك أخوعدي، فأجتهد و شهر عشر سنين؛ فما عدا أن هلك ذكره؛ إلا أن يقول قائل: عمر، و إن ابن أبي كبشة (إشارة إلى الرسول الكريم صلى الله عليه و آله) ليصاح به كل يوم خمس مرات: «أشهد أن محمداً رسول الله»، فأئ عمل يبقى و أي ذكر يدوم بعد هذا لا أباً لك! لا و الله إلا دفناً دفناً» (١) و بعدها مباشرة يقوم يزيد حفيد أبو سفيان برفع الستار و نشر نعته المستهتره علناً حيث يقول: الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٧ لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء و لا و حي نزل و بهذا الشكل بان و تأكد ذلك الكفر و الأجرام الذي نطق به أبو سفيان. إن حالة السجون الأموية و التعذيب القاسي الذي سلطه الأمويون على سجنائهم لم يسود صفحات تاريخ الإسلام فحسب بل و حتى تاريخ البشرية، و هذا مصداق مقولة سيده الإسلام عليه السلام. نعم، فقد كانت حوادث المستقبل منعكسة بصورة جيدة في صفحات قلبها المشرقة، و طبقاً لما أخبرت عنه في هذه الخطبة، فسرعان ما هجم المتسللون المتجاوزون على الناس بصوارمهم الحادة مستبدين في الحكم مستهزئين بدين و روح و مال و ناموس الناس. لقد ألقى الهرج و المرج ظلّم المشؤوم الثقيل على المجتمع الإسلامي، و ذاق المسلمون مرارة ذلك التقصير و الوهن في حماية الحق. و هذا جزاء أولئك الذين يتركون الحق و يتبعون الباطل. الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٨

القسم الخامس

إشارة

قال سويد بن غفلة، فأعادت النساء قولها عليها السلام على رجالهنّ فجاء إليها قومٌ من وجوه المهاجرين و الأنصار معتذرين و قالوا: يا سيده النساء لو كان أبو الحسن ذكر لنا هذا الأمر من قبل أن نُبرم العهد، و نُحكم العقد، لما عدلنا عنه إلى غيره. فقالت: إليكم عنى فلا عذر بعد تعذيركم، و لا أمر بعد تقصيركم. التفسير

الأجوبة المريرة و المؤلمة

الأقبح من كل شيء جواب طائفة من المهاجرين و الأنصار بعد سماعهم لرسالتها، حيث كان جوابهم مؤلماً جارحاً له وقع الخنجر على قلبها الطاهر. كان للخطبة وقع مؤثر في نفوسهم، فأحسوا بالخجل، و ربما فرغوا من الجزاء الإلهي في الدنيا و الآخرة، مما دعاهم ذلك إلى الإسراع في الإستجابة للتشرف بالحضور بين يدي بنت رسول الله صلى الله عليه و آله و عرض جوابهم الذي كان محتواه: لم لم يمد أبو الحسن على ابن أبي طالب عليه السلام يده لتبايحه قبل أن يأخذ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٦٩ الآخرون البيعة لأنفسهم، فبارك مقدمه، و ندافع عن حكومته؟ نعمل على إطاعته، و نستجيب لأوامره من صميم قلوبنا و أرواحنا. و بوجوده لم نكن لنقدم أحداً عليه لأنه أليق من غيره بهذا الأمر، و أقرب الناس لرسول الله صلى الله عليه و آله و دينه و فكره. ولكن يا للأسف فقد

فات الأوان! فبعد أن صافحنا أيديهم الممدودة للمبايعة، وطوّقنا رقابنا بعهد الطاعة، و بسبب تعزيز ذاك الارتباط في هذا الأمر فإنه قد أغلقت جميع الطرق بوجوهنا ولا سبيل للعودة! أما ليتهم لم يتدّرّعوا بذلك العذر في محضر سيده الإسلام صلى الله عليه وآله الذي هو أشد قسوة من فعلهم، جواب قبيح، وعذر مفتضح كاذب، كلام ألم قلبها الطاهر بشدة، وزاد من هموم روحها الجسيمة هماً آخر. ليتهم أقروا بذنبهم على الأقل، ولتتهم وعدوها بالرجوع في الفرصة المناسبة، ولم ينطق لسانهم بذلك العذر الواهي، بالإضافة إلى أوّلًا: أنهم سمعوا من شخص رسول الله صلى الله عليه وآله و لعدة مرات أن الوصاية والخلافة لن تكون إلا لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، وهذا الأمر يغني عن البيعة له. ثانيًا: على فرض ضرورة البيعة، ألم يأخذ الرسول صلى الله عليه وآله منهم البيعة لعليّ عليه السلام في غدِير خَم، تلك الحادثة التي لم تكن لتخفى على أحد، فهي أحداث عاشوها وشاهدوها عن قرب أو سمعوا بها على الأقل. ثالثًا: على فرض أنهم لم يحضروا بيعة الغدير ولم يسمعوا حديث الرسول صلى الله عليه وآله في ذلك اليوم، فهل خفي على أحد منهم أفضلية عليّ عليه السلام على الآخرين؟! لماذا لم يأتوه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله ويمدوا أيديهم مجددين له البيعة إن لزم الأمر؟ الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٧٠ لم تكن الخلافة حقًا شخصيًا مختصًا بأمر المؤمنين على عليه السلام حتى يحتاج إلى أن يطالب بحقه، ولكن الخلافة حق عام متعلق بالمجتمع الإسلامي، لا بل بالإسلام ككل، لهذا نصّب الرسول صلى الله عليه وآله عليًا في هذا المقام بأمر من الله «سبحانه وتعالى». يُعدّ قبول علي عليه السلام للخلافة وتأييد المسلمين له من الوظائف الإلهية الحتمية، ولا معنى للاستفسارات «لِمَ ولأَنَّ» و «إذا وكيف» و «كذا وهكذا». رابعًا: لو افترضنا أنه كان علي عليه السلام أن يأخذ البيعة لنفسه ويخلف الرسول صلى الله عليه وآله في الناس، فهل يا ترى من اللائق أن يبقى جسد الرسول صلى الله عليه وآله الطاهر على الأرض دون تكفينٍ وتدفينٍ والاهتمام بمسألة الخلافة وكرسيها. ما أحقر تلك المؤامرة، لِمَ أدبر جمعٌ منهم عن مراسم دفن الحبيب وأسرعوا في الحضور في مراسم تنصيب الخليفة؟ لماذا؟ خامسًا: لو تغاضينا عن جميع ذلك، ولو أن شخصًا اختار لنفسه قائدًا ومن ثم عرف أنه أخطأ في اختياره، وأن طريق هذا سينتهي به إلى التهلكة، فهل عليه أن يستمر في طريقه ذاك ويسقط في تلك الهاوية لا لشيء سوى أنه بايع و وعد بالوفاء؟ أي منطقٍ وقانونٍ، و أي عقلٍ يحكم بهذا؟

ملاحظة مهمة

تبادر إلى الذهن مسألة مهمة بعد إختتام هذا الموضوع، هي أن الخطبة رغم أنها خصت بالذكر مسألة خلافة و ولاية علي عليه السلام، إلا أنها كانت الزهراء عليها السلام سيد نساء العالمين، ص: ١٧١ درسًا مفيدًا لكل المسلمين عبر مراحل التاريخ، وهو ألا يستخفوا في الأمور التي تخص الحكومة الإسلامية، ولا يناصروا من هم ليسوا أهلًا لها، ولا يتعاملوا مع هذه المسألة تعاملًا سطحيًا، ولا يقدّموا المرجوح على الراجح في اختيار المتصدّين لأشغال المناصب الحساسة، وإن هم لم يُراعوا تلك النقاط فعليهم أن يترقّبوا نتيجة أعمالهم المشؤومة، وليعلموا أنهم سيعيشون العواقب الوخيمة للحكومات الفاسدة المستبدة الطاغوتية. بعدها ستُذرف دموع الحسرة والندامة نتيجة ذلك التقصير. دموعٌ لا تُثمر إلا عن الحسرة والندامة والفضيحة.

تعريف المركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهدوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/٤١). قَالَ الْإِمَامُ عَلِيُّ بْنُ مُوسَى الرَّضَا - عَلَيْهِ السَّلَامُ: رَحِمَ اللَّهُ عَبْدًا أَحْيَا أَمْرَنَا... يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَيُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بِنَادِرُ الْبِحَار - فِي تَلْخِصِ بَحَارِ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ فِيضِ الْإِسْلَامِ، ص ١٥٩؛ عِيُونُ أَحْبَابِ الرَّضَا(ع)، الشَّيْخُ الصَّدُوقُ، الْبَابُ ٢٨، ج ١/ ص ٣٠٧). مَوْسَسُ مُجْتَمَعِ "الْقَائِمِيَّةِ" الشَّقَافِي بِأَصْبَهَانَ - إِيْرَانِ: الشَّهِيدُ آيَةُ اللَّهِ "الشَّمْسُ آبَادِي - رَحِمَهُ اللَّهُ - كَانَ أَحَدًا مِنْ جِهَابِذَةِ هَذِهِ الْمَدِينَةِ، الَّذِي قَدِ اشْتَهَرَ بِشَعْفِهِ بِأَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ (صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ) وَ لَاسِيْمَا بِحَضْرَةِ الْإِمَامِ عَلِيِّ بْنِ مُوسَى الرَّضَا (عَلَيْهِ السَّلَام) وَ بِسَاحَةِ

صاحب الزمان (عجل الله تعالى فرجه الشريف)؛ ولهذا أتيس مع نظره و درايته، في سنة ١٣٤٠ الهجرية الشمسية (= ١٣٨٠ الهجرية القمرية)، مؤسسه و طريقه لم ينطفيء مصباحها، بل تتبّع بأقوى و أحسن موقف كل يوم. مركز "القائمة" للتحري الحاسوبى - بأصفهان، إيران - قد ابتدأ أنشطته من سنة ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) تحت عناية سماحة آية الله الحاج السيد حسن الإمامى - دام عزه - و مع مساعده جمع من خريجي الحوزات العلميه و طلاب الجوامع، بالليل و النهار، في مجالات شتى: دينيه، ثقافيه و علميه... الأهداف: الدفاع عن ساحة الشيعة و تبسيط ثقافة الثقلين (كتاب الله و اهل البيت عليهم السلام) و معارفهما، تعزيز دوافع الشباب و عموم الناس إلى التحري الأذق للمسائل الدينيه، تخليف المطالب النافعه - مكان البلايىث المبتدله أو الرديئه - فى المحاميل (=الهواتف المنقله) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيد أرضيه واسعة جامعته ثقافيه على أساس معارف القرآن و أهل البيت - عليهم السلام - بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققين و الطلاب، توسعه ثقافه القراءه و إغناء أوقات فراغه هواء برامج العلوم الإسلاميه، إناله منابع اللازمه لتسهيل رفع الإبهام و الشبهات المنتشرة فى الجامعه، و... - منها العداله الاجتماعيه: التى يمكن نشرها و بثها بالأجهزة الحديثه متصاعده، على أنه يمكن تسريع إبراز المرافق و التسهيلات - فى آكفاف البلد - و نشر الثقافه الإسلاميه و الإيرانية - فى أنحاء العالم - من جهه أخرى. - من الأنشطة الواسعه للمركز: الف) طبع و نشر عشرات عنوان كتب، كتيبه، نشره شهريه، مع إقامة مسابقات القراءه ب) إنتاج مئات أجهزة تحقيته و مكتبيه، قابله للتشغيل فى الحاسوب و المحمول ج) إنتاج المعارض ثلاثيه الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرسوم المتحركة... الأماكن الدينيه، السياحيه و... د) إبداع الموقع الانترنيتى " القائمية " www.Ghaemiyeh.com و عدّه مواقع أخره) إنتاج المنتجات العرضيه، الخطابات و... للعرض فى القنوات القمرية و) الإطلاق و الدعم العلمى لنظام إجابة الأسئلة الشرعيه، الاخلاقية و الاعتقاديّه (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤) ز) ترسيم النظام التلقائى و اليدوى للبلوتوث، ويب كَشِك، و الرسائل القصيره SMS ح) التعاون الفخرى مع عشرات مراكز طبيعيه و اعتباريه، منها بيوت الآيات العظام، الحوزات العلميه، الجوامع، الأماكن الدينيه كمسجد جمكران و... ط) إقامة المؤتمرات، و تنفيذ مشروع " ما قبل المدرسه " الخاص بالأطفال و الأحداث المشاركون فى الجلسه ي) إقامة دورات تعليميه عموميه و دورات تربيه المربى (حضوراً و افتراضاً) طيله السنه المكتب الرئيسى: إيران/أصفهان/ شارع "مسجد سيد" / ما بين شارع "بنج رمضان" ومفترق "وفائى" / بنايه "القائمة" تاريخ التأسيس: ١٣٨٥ الهجرية الشمسية (= ١٤٢٧ الهجرية القمرية) رقم التسجيل: ٢٣٧٣ الهويه الوطنيه: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦ الموقع: www.ghaemiyeh.com البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com المتجر الانترنيتى: www.eslamshop.com الهاتف: ٢٥-٢٣٥٧٠٢٣-٢٣٥٧٠٢٣ (٠٠٩٨٣١١) الفاكس: ٢٣٥٧٠٢٢ (٠٣١١) مكتب طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١) التجاريه و المبيعات ٠٩١٣٢٠٠١٠٩ امور المستخدمين ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١) ملاحظه هامه: الميزانيه الحاليه لهذا المركز، شعبيه، تبرعيه، غير حكوميه، و غير ربحيه، اقتنيت باهتمام جمع من الخيرين؛ لكنها لا توافى الحجم المتزايد و المتسع للامور الدينيه و العلميه الحاليه و مشاريع توسعه الثقافيه؛ لهذا فقد ترجى هذا المركز صاحب هذا البيت (المسمى بالقائمه) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحه بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - فى حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله ولى التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
أصبحان
الغائمي



للحصول على المكتبات الخاصة الأخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir

و للإيحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

